تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

# متى يعود المسلمون إلى الإسلام؟

د. عبد السلام الهراس ص : 16

# مقترح لأجل خدمة الدعوة إلى الخير

ذ. عبد المجيد التجدادي ص : 15

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين

# المحجة

البريد الإلكتروني : almahajja@maktoob.com

العدد : 318

جامعة نصف شهرية

الثمن : 3 دراهم

■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي

05 جمادى الأولى 1430 ـ 01 ماي 2009


# النفاق موت سياسي رخيص

ذ. المفضل فلواتي ص : 2

# الجريدة الإسلامية بين ملكية المفكر وحرية الباحث

ذ. امحمد رحماني ص : 12

# شعيرة الأذان

ذ. أحمد حُسني ص : 10

# ميثاق الفتوى

ص : 7

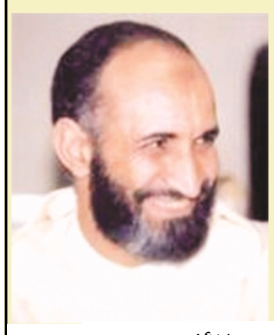

# كيف تتلقى رسالات القرآن؟ وتكون من أهل الله وخاصته!

د. فريد الأنصاري ص : 14

# بالقرآن تسعد القلوب وتأنس النفوس

د. عصمت محمود أحمد ص : 10

مع سنة رسول الله ﷺ

# حتى لا تغرق السفينة

د. عبد المجيد بنمسعود ص : 5

# مستشارة محجبة لأوباما

ذ. عبد القادر لوكيلي ص : 15

# عقود أمريكية لأبناء الرئيس الفلسطيني

ص : 3

# النفاقُ مَوْتٌ سياسيٌّ رَخِيصٌ

**الإسّلامُ عقيدةٌ وشريعةٌ:**

للإسلام جانبان : جانبٌ باطنيٌّ، وجانبٌ ظاهريٌّ عمليٌّ تَطْبيقيٌّ.

أما الجانب الباطني فيتمثّلُ في :

أ- الاعتقاد بأن للْكَون بأرضه وسمائه وإنسانه وحيوانه ربّاً و احداً هو خالقُه، ومُدبِّرُ أمْرِه، وهو مسخِّرُه للإنسان ليكُونَ خليفةً عن اللّه في كونه بأمْره.

ب- الاعتقادُ الجازم بأن الرَّبَّ المتفرِّدَ بالخلْق لكُلِّ شيءٍ هو وحْده المستحقُّ للعبادة، لأن غَيْرَه مخْلُوقٌ مسخَّرٌ مُدبَّرٌ أمْرُه، مُقَدَّرٌ وظيفَتُه ودَوْرُه، مُقَدَّرٌ رزقهُ وأجَلُه، لا يستطيعُ أن ينفعَ أو يضرّ بدون إرادةِ حاكِمِه المسيِّر لشأنه كله.

جـ- الإشْراكُ باللّه ربّاً، أيْ الاعتقادُ بأن غَيْرِ اللّه يستَطيعُ أنِ يخلُق مع الله، أو يكُونَ لهُ تأثيرٌ خارجَ إرادة الله تعالى، وكذلك الإشراكُ بالله إلهاً أي مستحقّاً للعبادة وحْده... كُلُّ ذلك يُعْتبرُ سفاهةً وخروجاً عن سُنّةِ الفطرة السليمة.

د- الاعتقادُ الجازمُ بأن اللّه عز وجل كاف عبْدَه ماديّا ومعنويّاً، أي رزْقاً وصحةً ورعايةً وتطميناً وتفريجاً لكل الكرب والأزمات، ونصراً لهُ على النفس والهوى والشيطان وعلى كل ماكرٍ به أو متربِّصٍ.

أمّا الجانب الظّاهريُّ أو العمليُّ أو التطبيقيُّ للإسلام فيتمثل في شَيْئَيْن اثنيْن هما : امتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

امتثال الأوامر يشمل :

أ- الإتيانَ بأرْكَان الإسلام : من صلاة، وزكاة، وصيام، وحجّ بعْد الإيمانِ الصادقِ، لأن تلك الأركان هي بُرهَانُ الصدقِ في الانتماء للإسلام، والانتماء لربِّ الإسلام.

ب- الإتيانَ بالأخلاق التي تتولَّى أركانُ الإسلامِ غرسَها في النفوس الصادقة من صدْق في القول والعَمل والفكر و التخَطيط والدّعوة، ومن خشية لله في السر والعلانية، ومن عفة شاملة وانْصباغ بالسّمت الربّانيّ مخْبراً ومظهراً وسلُوكاً نظيفاً، فرداً، وأسرة ومخالطة للمجتمع، وقياماً بالواجب، وأداءً للحقوق.

حـ- الإتيان بالأسُس المُدَعِّمة لبناء المجتمع الصالح، من عدْلٍ في القول، والحُكْم، والشهادة، و النظرة، والاعتبار، ومن إيثار للمصلحة العامة، وحُبِّ التضحية في سبيل الواجب، بدون انتظار مقابل.

أما اجتناب النواهي فيشمل :

أ- الابتعادَ عن كُلِّ مفسدات الدين، من زندقة، وإلحاد، وشك وارتياب، وعن كل إشاعة تُبَلْبِلُ المعتقَد الصحيح، أو تُخلخلُ أسُسَ الإيمان المتين.

ب- الابتعادَ عن كُلِّ مفسدات العِرض، من فُحْش في الفكر أو القول أو الفعل سواءٌ في السِّرّ أو العَلَن حتى لا تَتَدنَّس أخلاق الفرد والمجتمع بالوضاعة البهيميّة.

حـ- الابتعادَ عن مفسدات العقل بأي نوعٍ من أنواع الإفساد، سواء كان إفساداً عن طريق المُسكرات أو المخدِّرات أو المفتِّرات أو المُلْهِيات أو المُغريات.

د- الابتعادَ عن مُفْسدات المال والاكتساب، سواءٌ عن طريق الغش، أو السرقة، أو الغصْب والنهب، أو عن طريق الارتشاء، والمحسوبية واستغلال النفوذ... كُلُّ ذلك يُعتبر إفساداً يعقُبه السّحْق والمحق.

هـ- الابتعادَ عن التآمُر على وحْدة المجتمعات الإسلامية، بإنشاء طرُق التديُّن المغشُوش، أو انشاء أحزاب تعمل سرّاً أو جهراً على طَمْسَ معالم الإسلام ومبادئه في كُلِّ مرْفق من مرافق المجتمع، وفي كل مجال من مجالات الحياة الخاصة والعامة.

**إنكَارُشَيْءٍ من العَقيدة أو الشريعَة يُعْتَبرُ خِيانةً ونفَاقاً:**

الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه كُلٌ لا يتَجزّأُ، وبُنيانٌ لا يتبعَّض، فهو كما عرَّفه العلماء «اعتقادٌ بالجَنَان، وقولٌ باللسان، وعمَلٌ بالأركان» أو هُوَ إيمانٌ وعَمَلٌ صالحٌ في كُلّ ميدان يرْقَى إلى درجَة الإحسان، مع العناية بالأسْوار المعنويّة التي تصُونُ نضارتَهُ وأنوارَهُ من الخُفُوت والانطفاء، فإذا ما تهاونَ المُسْلمونَ في التطبيق أو الصيانة اعْتُبِرَ ذلك خيانةً لله وللرسول، وخيانة للأمانة التي حمّلَها الله عز وجل الإنسان من دون باقي المخلوقات، واعتُبر مُروقاً من الدين يسْتَوْجبُ الخذْلان والهوان والخسران.

فمتى يستَحقُّ المنتمُون للإسلام الخذلان والهوان؟!

يستحقون ذلك :

عندما ينسَوْن اللّه عز وجل فيعيشون هائمين لا يرفعون رؤوسهم للسماء، ولا يعرفون لأنفسهم هدفاً في هذه الحياة، ولا كيف يدّخرون لأنفسهم رصيداً لما بعد هذه الحياة، بل لا يعرفون كيف يرتفعون إلى التّسَامي فوق مستويات الاهتمامات الحيوانية، يعيشون أُناساً بدون إنسانية، وبشراً بدون هويّة، نَسُوا الله عز وجل فأنساهم أنفسهم. ولخطر نسيان الله تعالى على الفرد والمجتمع والأمة كان النهي القرآني ﴿**ولا تكُونُوا كالذين نَسُوا اللّه فأنْسَاهُم أنْفُسَهُم أولئك هُمُ الفَاسِقُون**﴾(الحشر : 19).

**لا رسالةَ للنَّاسِي ربَّهُ:**

للكافر وظيفة دنيوية، وحضارة مادية -وإن كا ن يسْفك الدّماء، ويُفسدُ في الأرض- لأنه يمْلأ الفراغ في انْتظار تهْييء ووجُود الإنسان الصالح المُصْلح الذي به يُزْهقُ الله عزوجل الباطل ويُحق الحق، لأن الحضارةَ الدنيويّة الماديّة جُزْءٌ من الاستخلاف في الأرض، وجزءٌ من الاستعمار للكون وتسخيره لمصلحة الإنسان، ولكنها حضارة فيها ظلمٌ وعَسْفٌ واستغلالٌ للقوة المادية بغير حق، وفيها انحراف عن الفطرة السليمة بالتكبُّر على الله تعالى وجُحود فضله ونعَمه وإحسانه، فلذلك يبْعث الله عز وجل الرسُل ليعَدِّلوا السَّيْر، ويُرشِّدُوا التسخيرَ والانتفاعَ بالشكْر لربّ الكون والإنسان، حتى يعْتَدل الميزان، ويُصْبح الإنسان آكلاً شارباً راكباً باحثا متمتِّعاً بالحياة الدنيوية، ولكنّهُ في نفس الوقْت حامدٌ شاكرٌ متواضعٌ لربِّ العزة، عاملٌ في الدنيا بجدٍّ واجتهاد ولكنَّهُ في نفس الوقْت مستحضرٌ الوقوف بيْن يدَيْ ربِّه مالك الدنيا والدِّين، يوْمَ الفصْل والدِّين.

عندما يوجَد الإنسانُ الصالح المُصْلح يُنْشىء حضارةً إسلامية - بتوفيق الله تعالى وهدايته ونصْره- على أنقاض الحضارة المادية الجاحدة المتكبرة، ولا يتم هذا التداوُل الحضاريُّ بين حضارة المادة، وحضارة القيم إلاّ إذا كان الإنسان الصالحُ المصلحُ يفوق الإنسان الماديَّ علْماً بالله تعالى، واسْتمساكاً بهداه وشريعته، وتفانياً في إكْرام الإنسان وخدْمة مصالحه العُلْيا ابتغاءَ مرضاة الله تعالى فقط، زيادة على العلم بالسُّنن الكونية، والسُّنن الاجتماعية، وزيادة على العلم العميق بقوانين التّسْخير، وقوانين التدبير لشؤون التسْيير الرشيد، وشؤون التغيير السديد، حتى يكون الصالحُ المصلح جامعاً بين علوم الدنيا والدين في تواؤُمٍ وتآخٍ لا يُحسُّ معهما الإنسان بالتضادِّ والانفصام. آنذاك تقوم للأمة المسلمة قائمة لا يقف دونها شيء، لأنها أمة رأْسُها في السماء ورجلُها في الأرض، جَسَدُها في الدنيا وهمَّتها الفوْزُ الخالد في الأخرى.

أما المنافقُ الناسي ربّه فَلاَ وظيفةً له في الحضارة، ولا دوْر له في الحياة، لأنه يعيش مُزدوَج الشخصية، يعيش بشكْل إسْلامي بَئيس، وبقلب كافر مريض، ولذلك لا مُعَوَّل عليه لا في حضارة المادة، ولا في حضارة القيم، لانعدام شخصيته، وميوعة كيانه، فهو مجرّدُ معوَل في يد الكُفر الصريح لتهْديم الإسلام الصحيح، أنعْجب بعد ذلك إذا كان الله تعالى توعّد الكافرين بسُوء المصير في النار، وتوعّد المنافقين بالدّرك الأسْفَل من النار.

**خُطورة إسْنادِ الأُمور إلى النّاسِينَ لرَبِّهم:**

إذا كانت الأمة الإسلامية ابتُليَتْ - مُبَكّراً- بمَنْ مزَّق شمْلَها، وفرَّق كلمتَها، ووزَّع شتاتَها، واستبَدَّ بأمْرها، وضيَّع رسالتَها، وأذَلَّ علماءَها ودُعاتَها... حتى جعَلها -في النهاية- مُسْتحْمَرة لا تئِنُّ من الوطأة الثقيلة للاستعْمار العالميِّ، ولا تتبرَّمُ بفكْره، وثقافته، وغمْزه، ولمْزه، وطعْنه للدين والخلُق، ولا ترفع رأسا لزحْزَحته عن الأرض والعرض... فإن الرسول ﷺ كثيراً ما حذَّرنا من إعْطاء الفرصة للسفهاء ليقودُوا الأمة إلى هاوية الإذْلال.

ولكن مَن يتعظ؟! ومن يفقَه المَراميَ البعيدةَ للتحذيرات النبويّة؟! وقبل ذلك التحذيرات القرآنية؟!

● فما معنى قول الله تعالى : ﴿**ومن النّاسِ من يُعْجبُك قولُه في الحَياة الدّنيا ويُشْهد اللّه على ما في قَلْبه و هُو ألَدُّ الخصَام وإذا تَوَلّى سَعَى في الارْض ليُفْسد فيها ويُهْلك الحرْثَ والنّسْلَ واللّه لا يُحبُّ الفسَادَ وإذا قيل لَهُ اتّقِ اللّه أخذَتْهُ العزّةُ بالإثْم فحَسْبُه جَهَنّم ولبِئسَ المِهَادُ**﴾(البقرة : 204).

أليْس معناه التحذيرَ من إتاحة الفرصة للمستبدّين المُفْلسين -إيمانياً- حتى لا يعيثُوا في الأرْض فساداً؟!

● وما معنى قول الرسول ﷺ : «**إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غَيْر أهْله فانْتَظُروا السّاعَة**»(رواه البخاري) وهلْ هُناك ساعة أكبرُ من أن تَرى الأمة المسلمة كُلَّها لا تزِن في الميزان الدولي جناحَ بعُوضة؟!

● وما معنى قول الرسول ﷺ : «**لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى يكُونَ أسْعَدُ النّاسِ بالدّنيا لُكَعَ بنَ لُكَع**»(رواه الترمذي) فمن يصولُ ويجُول في الدّوائر العليا والدوائر التنفيذيّة غير اللّكَاكعَة أبناء اللّكاكعَة؟!

● وما معنى قول الرسول ﷺ : «**سَيأتي على النّاس زَمانٌ لا يُنَالُ المُلْك فيه إلاّ بالقَتْل والتّجبُّر، ولا الغنَى إلا بالغَصْبِ والبُخْل، ولا المحبَّةُ إلا باسْتخراج الدّين، واتباعِ الهَوَى، فمَن أدْرَك ذلك الزمان فصَبَر على الفقْر وهو يَقْدرُ على الغنَى، وصبَر على البغْضَة وهو يقْدرُ على المحبَّة، وصَبَر على الذُّل وهو يقْدرُ على العزّ، أتاهُ الله ثَواب خَمْسين صدِّيقاً ممَّنْ صدَّقَ بي**»(منهاج الصالحين) فمن يَسُوق شُعوب الأمة بالعَصَا والبلايين غيْرُ الغَاصبين لكرامة الأمة وثرواتها؟!

● وما معنى قول الرسول ﷺ : «**يأتي على النّاسِ زمانٌ همَّتُهم بُطُونُهم، وشَرَفُهم متاعُهم، وقِبْلَتُهم نساؤُهُم، ودينُهم دراهمُهم، أولئك شرارُ الخَلْقِ لا خَلاَقَ لهُم عِنْد الله**»(رواه الدّيلمي).

فهل تنتَظر الأمة رُشداً وصلاحاً من عُبّاد الطين والتُّراب، الذين ضَيَّعُوا الدين ونسُوه، وبَنَوْا التراب وشيَّدُوه؟!

إن هؤلاء الذين أشار إليهم القرآن، وأشارت إليهم الأحاديث النبوية كُلُّهم ماتُوا موتاً سياسيّاً مقيتا، ولا يُنتَظَرُ منهم إلاّ أن يقتُلوا الأمة ويُميتوها موتاً سياسياً سحيقاً، لا يُوقظُها منْه إلا انْبعاثُ طائفة ربانيّة تبعَثُ الأمل في الأمّة من جديد، وتأخذ بيدها لحمْل رسالة ربها من جديد رحمة للعالمين وإنقاذاً للبشرية من ظلم الظالمين.

**ذ. المفضل فلواتي**

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
الموقع الإلكتروني : www.almahaja.com
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (035)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

## محطات إخبارية - محطات إخبارية

### أربكان يعود للسياسة بعد غياب 11 عاما

عودة أربكان للساحة السياسية بعد رفع الحظر الذي كان مفروضا على ممارسته للعمل السياسي أدت إلى إثارة عدد من القضايا على أكثر من مستوى. فقد ثارت التساؤلات عن الدور الذي من المتوقع أن يقوم به أربكان في حزب السعادة، والمنصب الذي سيتقلده فيه، وعما إذا كان لعب أربكان لدور سياسي فاعل سيؤثر سلبا على التطورات التي شهدها "السعادة"، والتي توجت بانتخاب نعمان كورتلموش رئيسا للحزب خلفا لرجائي قطان، وهو ما كان قد عد اعترافا من أربكان بضرورة تجديد دماء الحزب.

ويقول أورخان إن العلمانيين يأملون بالفعل في حدوث منافسة قوية بين "السعادة" و"العدالة"، ويشير إلى أنهم صرحوا بهذا في وسائل الإعلام، وهللوا لزيادة حضور "السعادة" في الانتخابات الأخيرة، وعلى الرغم من أنه يرى أن هذا لا يعني بالضرورة أن العلمانيين هم من كانوا وراء العفو عن أربكان، فإن أورخان يعتقد أنهم يرون أن عودته من مصلحتهم؛ لأن أي تقدم سيحرزه السعادة سيكون بالضرورة على حساب "العدالة"؛ إذ إن "السعادة" لو تمكن من اجتذاب ناخبين جدد سيكونون بالضرورة من القاعدة الناخبة لـ"العدالة"، ولكن أورخان يرى في النهاية أن أي تقدم سيحرزه "السعادة" سيكون ضئيلا جدا، بشكل لا يؤثر على توازن "العدالة".

ويتفق طوران مع أورخان في أن العلمانيين هم من كانوا وراء رفع الحظر عن أربكان، كما كانوا هم من فرض الحظر عليه، إلا أنه يرى لسعيهم رفع الحظر عن أربكان سببا مختلفا وهو أن يواصل أربكان هجومه على "العدالة"، فهم يرون أن هجوم "السعادة" على "العدالة" أكثر مصداقية لدى الجماهير من هجوم القوى والأحزاب العلمانية التي يرى الناخبون أن لديها موقفا مسبقا ضد "العدالة".

### 15 ألف سويدي اعتنقوا الإسلام بعد أزمة الرسوم المسيئة

الإسكندرية ـ وكالات

كشف وفد من شباب السويد المسلم ـ في مؤتمر صحفي بالمعهد السويدي بمدينة الإسكندرية المصرية ـ عن اعتناق 15 ألف مواطن سويدي تتراوح أعمارهم بين 20 و40 عاماً الدينَ الإسلامي بعد أزمة الرسوم المسيئة للرسول محمد ﷺ.

وأعلن الوفد المسلم أنه يسعى لتنفيذ أربعة مشاريع تخدم المسلمين في السويد؛ الأول: تعليم الشباب كيف يعيش في المجتمع السويدي، والثاني: مشروع تعليم الأئمة اللغة السويدية؛ لأن الأجيال الجديدة من المسلمين لا يجيدون اللغة العربية، والثالث: الاهتمام بقضايا البيئة والحفاظ عليها، ومشروع أخير: عن حوار الأديان.؟جديرٌ بالذكر أن الإسلام يُعَدُّ الديانة الثانية في السويد، ويعتنقه أكثر من نصف مليون مسلم في بلد يبلغ تعداده حوالي ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة.. وبرغم حداثة عهده في تلك الدولة إلا أن أعداد معتنقي الإسلام في تزايد مستمر، خاصة أن الجاليات الإسلامية هناك لا تجد صعوبة في القيام بشعائرها الدينية وإنشاء المساجد في كل المدن، في ظل حماية القانون الذي أقرّه البرلمان السويدي حول حرية الأديان.

### 11 قسّيساً يعلنون إسلامهم في توجو

توجو - وكالات:

أعلن أحدَ عشرَ قسّيساً من مناطق عدّة في جمهورية " توجو" الأفريقية إسلامهم، ونطقوا بالشهادتين في احتفال أقامه لهم مؤخّراً دعاة " جمعية الدعوة الإسلامية العالمية" . وقد نظَّم دعاة الجمعية عدداً من الملتقيات لهؤلاء المهتدين في مناطقهم، اشتملت على دروس ومحاضرات حول مختلف الجوانب العقدية والعبادات وما تشتمل عليه من آداب، وقدَّموا لهم شروحاً وافية عن المعاني السامية، والقيم الإنسانية التي جاءت بها رسالة الإسلام. كما اشتملت على حلقات نقاش أجاب فيها الدعاة عن مختلف الأسئلة التي طرحها المهتدون.

يُذكر أن هؤلاء المهتدين هم من قرى "أجوب"، و"تياكوي"، و"أويوكوكو"، و"أتاكوي"، و"أينيغي" ، و"أيابار كامي"، و"أيووكوي"، و"إيتلي"، و"زوزومي"، و"أكاوو"، و"أتيبي".

### عقود أمريكية لأبناء الرئيس الفلسطيني

رويترز - إسلام أون لاين.نت

رام الله (الضفة الغربية) - أظهرت وثائق لم يتم الكشف عنها من قبل أن شركات يديرها أبناء الرئيس الفلسطيني "محمود عباس" فازت بعقود معونات من الحكومة الأمريكية لإصلاح طرق وتحسين صورة الولايات المتحدة في الأراضي الفلسطينية.

وخلال مراجعة أجرتها وكالة رويترز لسجلات داخلية للحكومة الأمريكية بشأن برامج مساعدات في الضفة الغربية وقطاع غزة وجدت أن "شركات للإنشاءات والعلاقات العامة يديرها طارق وياسر محمود عباس حصلت على عقود وعقود فرعية بلغت قيمتها مليوني دولار منذ عام 2005 عندما أصبح والدهما رئيسا للسلطة الفلسطينية".

كما أظهرت المراجعة أن مشروعات يدعمها حلفاء الرئيس محمود عباس حصلت على ضمانات قروض ومساعدات زراعية، لكن الوكالة الأمريكية لم تكشف عن هويات كل الشركات الفلسطينية التي فازت بالعقود.

وقالت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية إن شركة فالكون إلكترو ميكانيكال كونتراكتينج التي يرأسها ياسر عباس وشركة سكاي للإعلان التي يتولى طارق عباس منصب المدير العام فيها فازت بعقود من خلال تقديم مناقصات "شاملة وعلنية".

وتظهر السجلات أن العقد الرئيسي للمعونة الأمريكية مع شركة سكاي للإعلان التي يرأسها طارق عباس بدأ تنفيذه في الخامس من مايو 2006 بعد فوز حماس في الانتخابات البرلمانية.

## نافذة على محاكم الأسرة

### الصلح

إن الصلح من بين المبادئ التي ركّز عليها الإسلام وأعطاها عناية خاصة في جميع المواطن بما في ذلك الإقتتال بين المومنين قال الله عز وجل ﴿وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾(الحجرات : 9) وإن حل ميثاق الزوجية لا يقلّ أهمية وخطورة في هذا الباب بما يترتب على ذلك من نتائج سلبية على الأسرة، مما يستدعي إجراء الصلح وإعطائه آليات كافية لضمان نجاحه. وأقترح لذلك مقترحات أعتبرها جوهرية من بينها :

- تفرغ قضاة الأسرة للتوثيق والملفات المتعلقة بالطلاق فقط وعدم إغراقهم بالجلسات والملفات البعيدة عن هذا التخصص.
- تكليف حكم من أهله وحكم من أهلها للقيام بمهمة الصلح ويحدد لقاء خاص بين قاضي الأسرة والحكمين للإطلاع على نتائج الصلح.
- إعطاء الوقت الكافي للحكمين لإجراء الصلح خاصة عند وجود الأطفال.
- التأكد من إمكانية وقوع الصلح من عدمه قبل البث في القضية.

● ذ. حمزة تنجدادي

## خواطر عابرة

### السلام عليكم و"بونجور"

لم يكن المغاربة كغيرهم من المسلمين في العالم إلى عهد قريب يعرفون تحية غير تحية الإسلام المبشرة بالسلام والأمن والطمأنينة «السلام عليكم» حتى أن الطلبة في أواسط القرن الماضي وضعوا منظومة للألفاظ الفرنسية ومقابلاتها بالعربية بما فيها التحية، فكان مما نظموه : "صَباحُ الخير عندهم "بونجور"".

والتحية المترجمة هي "صباح الخير" وليس "السلام عليكم" بمعنى أن التحيّة الإسلامية تبقى هي هي لا يمكن أن تترجم، فالمسلم لابد أن يلقي التحية بها كيفما كان لسانه.

لكن قومنا في عصرنا هذا يأبون إلا إقبار هذه التحية الإسلامية، واستعمال التحية باللفظ الأجنبي في الاستقبالات وفي التحيات العادية الخ..

● ترفع سماعة الهاتف، تتصل لعيادة طبيب تجيبك سيدة من الطرف الآخر بلغة باريزية أصيلة :

«Cabinet du Docteur tel..... Bonjour» ومن المتصل؟؟ وكيف يتم الحديث بعد ذلك؟ هل بلغة أهل باريس، أم بلغة سكان الأحياء الشعبية الذين لا يربطون بين دلالة لفظ "كابينة" وبين ذكر اسم الدكتور معها.

● وتتصل بإدارة أخرى ولتكن مصلحة من مصالح اتصلات المغرب" صاحبة الشبكة الهاتفية، تطلب الرقم "115" بهدف إصلاح عطل بالارتباط بالشبكة الدولية للمعلومات، يجيبك المجيب الآلي، إن كنت تريد الحديث بالعربية اضغط على الرقم كذا.. تضغط على الرقم... بعد ذلك يجيبك شخص من الطرف الآخر مستهلا خطابه بكلام سريع لا تكاد تسمع منه في الأخير إلا كلمة "بونجور" وطبعا الكلام كله بالفرنسية. ماذا تقول أيها القارئ الكريم، أنت طلبت الحديث بالعربية، فإذا بك تصك مسامعك ألفاظ بالفرنسية. جرِّب واحتج على ذلك، فربما تسمع جوابا غريبا من قبيل الجواب الذي سمعتُه في مقام آخر، إنه المقام التالي :

● في سوق ممتاز، وفي صندوق الأداء، استقبلتني صاحبته بتحية "بونجور" قلت لها مستغربا "بونجور" ولم لا "السلام عليكم"، قالت لي هما سيان : قلت لها هما سيان في الترجمة، وليس في الاستعمال عند المغاربة الأُصلاء. ثم تابعت حديثي سائلا : «هل يجبرونكم هم؟؟!! على استعمال لفظ "بونجور" بدل السلام عليكم، قالت : نعم هم يلزموننا أن نكون متأدبين مع الزبناء بتحيتهم في البداية بـ"بونجور"... بعد أن أتمت تمدّ المبلغ قالت لي "شكراً"، وكأنها رأتْ أنّ هذه اللفظة بالعربية لا تفي بالمراد، فأردفتها بكلمة "مِرْسِي" (merci).

● تذهب إلى متجر ملابس عصري، فيحدثك صاحبُه الشاب أو صاحبته الشابة -بعد أن تضع يدك على شيء ما- قائلا : هذا فيه ألوان، فيه الـ(Blanc) وفيه الـ(Noir) وفيه الـ(Bleu) وفيه وفيه. وكأن في لغتنا ليس فيه أزرق ولا أبيض ولا أسود.

● حتى بائعوا الملابس التقليدية في الأحياء الشعبية يكتبون لافتات غريبة تستحق أن تُدرس دراسة سيميائية : من قبيل (cafton)، (jallaber)، (charbille) الخ..

من سيقرأ هذه الكلمات بهذه الأخطاء، ثم من سيشتري من هذه الدكاكين التي لا يمر بها أجنبي إلا إذا كان ضالّ طريق، وحتى إن قدر له أن يمرّ من هناك أكيد أنه سيبكي على ما أصاب لغة بودلير في هذا البلد الذي يريد أن نقلده في كل شيء حتى في ما هو تقليدي عنده.

● حتى بعض أصحاب الوكالات العقارية الذين كانوا يكتبون على أبواب محلاتهم "سمسار" أصبحنا لا نجد على أبواب محلاتهم إلا ألفاظ فرنسية جذابة من قبيل «Le Bontoit» «La belle maison» الخ، وكأنهم يريدون ألا يكونوا سماسرة للعقار وإنما لعقول البشر.

إن أغرب ما يستغربه الزائر الغربي وليس العربي -لأن العرب والحمد لله يصفوننا بأننا نتحدث الفرنسية ولا نتحدث العربية- هو أن يجد اللاّفتات كلها مكتوبة بالفرنسية ولا وجود للغة الوطن على الإطلاق.

أما نحن الذين بدأنا نشعر بغربة الحرف العربي واللغة العربية، فنتساءل : أين المسؤولون الذين يسمحون بكتابة هذه اللافتات فقط بالفرنسية، ولماذا تم التنكر لما كان عليه الأمر قبل سنوات قليلة على الأقل، العربية من فوق، والفرنسية أسفل.

ثم قبْل هذا وبعده ألا نستحيي من أنفسنا ويُحَيِّي بعضنا بعضا بتحية الإسلام : «السلام عليكم».

د. عبد الرحيم بلحاج

# من بصائر الحسن في القرآن الكريم 2/2

## من مقاصد حسن الإيجاد في القرآن

ذ. عبد المجيد بالبصير

**تناول الكاتب في الحلقة السابقة مسألتان تتعلق الأولى منهما بأن فقه الدين روح فقه الدعوة إلى الله، ثم بين ذلك في نقطة ثانية من خلال بيان ذلك الفقه في إدراك حسن الإيجاد، وفي هذه الحلقة يواصل الكاتب إبراز بصائر حسن الإيجاد في القرآن الكريم من خلال بيان مقاصده**

إن القرآن الكريم إذ «يحض على النظرة الشاملة الكاملة حين يقول ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء﴾ ويقسم هذه النظرة الشاملة حين يقول ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ ويختار من آياته في الآفاق وفي أنفسنا أشياء يخصها بالذكر»(6) إنما يدعونا على تفاوت قدراتنا وتباين عزائمنا إلى تبصر أنوار الجمال والتفكر في أسرار الجلال، وهي تشع من الذرة إلى المجرة صادرة عن مشكاة الحق ملابسة لها ﴿وهو الذي خلق السموات والارض بالحق﴾(الأنعام : 73).

والحق في هذا السياق الوارد لفظا ومعنى في غير ما آية من آيات الخلق، يفيد فيما يفيد معنيين متداخلين أولهما أعم من الثاني:

الأول مرادف لمطلق الحكمة(7) التي هي على الحقيقة فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي بالقدر الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي. فأمره سبحانه في الخلق مناف للعبث واللعب والباطل ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق﴾(الدخان : 36- 37) ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا﴾(ص 26). ويندرج تحت هذا المعنى مقصدان عظيمان(8) :

**1- قصد النظام :** إذ الباري سبحانه يخلق ما يشاء ويختار بالقصد، مجريا له على نظام، ناصبا عليه علامات ودلالات، في الذرات والنواميس والأشكال والمقاييس والأوضاع والألوان والأجواء والأزمان... إلى غير ذلك مما جاء به العالمون عبر الأبحاث في ظواهر المادة والحياة، فوجدوا الله عنده، وقذفوا بما عقلوا فيه من أسمى آيات الحق باطل القول بالمصادفة والاتفاق فإذا هو زاهق. ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾(الرعد : 9) ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾(الملك : 3) ذلك مما جاءه العالمون عبر الأبحاث في ظواهر المادة اجريا له على نظام، ناصبا عليه علامات ودلالات، في الذرات والنواميس.

**2- قصد الإكرام :** إذ مما هو معتبر ابتداء من جعل الخلق على نظام قصد الإكرام، وذلك بتفضل المولى سبحانه على الإنسان دون مخلوقات الأرض، بتزويده بأدوات الاهتداء إلى أسرار النظام، مما هو متاح له باختياره على قدر جهده، للانتفاع به في جلب مقومات وجوده وتحسين وسائل معاشه وتطوير أشكال حضارته، وفي ذلك إكمال لحسن إيجاده كما قد يستفاد من اقتران مفهوم الإكرام بالخلق، سواء باللفظ كما في أوائل العلق ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم﴾ او بالقرينة كما في قوله سبحانه ﴿هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا﴾(البقرة : 28).

وأما المعنى الثاني للحق فهو أخص من الأول، لكنه لا يخرج عن ما صدق الحكمة. ولعله يفيد ما أودع سبحانه في كل نوع من أنواع المخلوقات من القابلية لبلوغ كمالها المتيسر لها المناسب لشأو قوتها وطاقتها، قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله في تفسير قوله سبحانه ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾(الروم : 8) «والحق هنا هو ما يحق أن يكون حكمة لخلق السموات والارض وعلة له، وحق كل ماهية ونوع هو ما يحق أن يتصرف به من الكمال في خصائصه وأنه به حقيق... وإنما يعرف حق كل نوع بالصفات التي بها قابليته، ومن ينظر في القابليات التي أودعها الله تعالى في أنواع المخلوقات يجد كل الأنواع مخلوقة على حدود خاصة بها إذا هي بلغتها لا تقبل أكثر منها... حاشا نوع الانسان فإن الله فطره بقابلية للزيادة في كمالات غير محدودة على حسب أحوال تجدد الأجيال في الكمال والارتقاء»(9) .ويندرج تحت هذا المعنى مما له صلة بالانسان مقصدان عظيمان أيضا :

**1- قصد الابتلاء:** إذ المولى سبحانه إنما جعل الانسان محل إكرام خاص بما هيأ حوله من جمال مناسب لحسن تقويمه، وأودع فيه من سلامة العقل ما يفضي إلى تصحيح اختياره وتسديده، ليتيسر له خلافة الله في أرضه وفق هداه وتكليفه، باستباق الخيرات والتنافس في الصالحات. وفي الجمال الخلقي ومنه الجمال النفسي امتحان للقلب في كسب الإيمان، وللجوارح في تحصيل ثمرات الكمال والإحسان. فما جعل الله على الأرض من آيات الحسن إنما يوقظ العقول إلى التفكير في خالقها وصانعها، ويثير النفوس للتدافع جلبا لطيبات زينة الأرض ومحاسنها، على أن ابتلاء القلب عند التفكير بين دفتي الكفر والإيمان، وابتلاء الجوارح عند التدافع بين دفتي الفجور والإحسان. ﴿إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾(الكهف : 8).

**2- قصد الجزاء:** إذ لما كان الانسان متفاوت الأداء عند الابتلاء في مدى احترام النظام وحفظ حرمة الإكرام، بحيث «خاف فريق ورجا فارتكب واجتنب، واعرض فريق ونأى فاجترح واكتسب»(9)، كان من تمام الحق الملابس للخلق إقامة موازين القسط للأعمال، حتى لا يذهب حق المظلوم هدرا، ولا ينتهك العبث للعدل سترا، فكانت الحدود والزواجر قبل الموت، والهناء والشقاء في البرزخ قبل البعث، والنعيم والجحيم عند الحساب ﴿وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾(الجاثية : 22).

وبعد فهذه المقاصد الأربع من مقاصد حسن الإيجاد، مكمل بعضها لبعض متكامل بعضها مع بعض، وهي تقع تحت مسمى الحق بالسوية عند إطلاقه في كل آية من آيات الخلق، إلا أن الاهتمام ببعضها دون بعض متفاوت بحسب ما يقتضيه السياق من مغزى المقام، وما يعطف على لفظ الحق ذاته من ضميم االكلام، بحيث إذا كان الغرض بالأولى إظهار عجائب قدرته وألطاف منته سبحانه، ردف لفظ الحق الإخبار بتفصيل الآيات وبتعاليه جل وعلا عن شرك المشركين ونحو ذلك مما له صلة بمزيد الاهتمام بقصدي النظام والإكرام.

وأما إذا كان الغرض امتحان خلقه وإبراز عدله سبحانه عطف على لفظ الحق غالبا الإخبار بالجزاء والأجل المسمى وبإتيان الساعة ونحو ذلك مما يدل على فائق الاهتمام بقصدي الابتلاء والجزاء(10).

ثم إن هذه المقاصد أيضا طرق سابلة إلى العلم بالله وفقهها طامس لعزم إبليس في قوله ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾(النساء : 118)، إذ في تغيير خلق الله اجتراء على مقصوده سبحانه من خلقه، وذلك بالخروج عن النظام إلى الفوضى والصدام، وعن شكر الكريم إلى اللؤم والكفران، وعن التوفيق عند الابتلاء إلى السخط والشقاق، وعن الإيمان بالجزاء إلى التكذيب والهلاك.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾.

---

6- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ترجمة الشيخ نديم الجسر ص 303.

7- ينظر تفسير التحرير والتنوير ج 7 ص 306 ñ 307 .

8- بخصوص قصدي النظام والإكرام ينظر فيما ينظر الثلث الأخير من قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن.

9- ينظر تفسير التحرير والتنوير ج 21 ص 52 إلى ص 54.

10- ينظر المرجع السابق ج 25 ص 356.

آيات ومواقف

# إذا الشمس كورت

قال تعالى : ﴿إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت، وإذا الوحوش حشرت، وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت، وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت، وإذا الصحف نشرت، وإذا السماء كشطت، وإذا الجحيم سعرت، وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت﴾(التكوير : 1- 14).

الكون يسير نحو النهاية، هذه هي الحقيقة! حقيقة ينطق بها الوحي، ويصدع بها القرآن، ويوقن بها أهل الإسلام.

وإلى عهد قريب، كان بعض الناس ينكرون نهاية هذه الدنيا، لكنها اليوم صارت قناعة كل الباحثين!

الكون إذن يسير إلى نهايته، ستتبدل الأرض، وتتغير السماوات، وتندثر الجبال، وتختفي هذه الدنيا، إنه الانقلاب الكوني العام تصوره هذه الآيات، ومثيلاتها في سو ر أخرى- أبلغ تصوير.

وفي كل يوم، بل كل لحظة تحدث انقلابات كونية عظيمة وخطيرة، فإن من مات قامت قيامته، وحصل الانقلاب الكوني الخاص به، فهل فكرت في ذلك؟ وهل اجتهدت في الاستعداد إلى ما هنالك؟.

تأمل معي هذه الآيات، وتدبرها جيدا، وافتح لها عينك وقلبك، وانظر ببصيرتك إلى الشمس وقد كورت وذهب ضوؤها، وإلى النجوم وقد انكدرت وتساقطت، وإلى الجبال وقد سيرت وقلعت من مواطنها، وإلى المراكب وقد عطلت عن أداء مهامها، ثم انظر إلى ما يقع بعد ذلك مما ذكره الله جل جلاله في هذه الآيات، وفي غيرها. وانظر حينها إلى موقعك أنت بالذات، وحالك أنت بالذات، خصوصا وأنت تعلم أن كل واحد سيقرن مع من كانوا يعملون بمثل عمله ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ وانظر ماذا في كتابك وصحيفتك : ما يسرك أم ما يحزنك؟ ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ وانظر بعدها إلى المصير؟ إلى الجنة هو أم إلى الجحيم؟ ﴿وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت﴾ أين أنت ساعتها؟!

يحكي هشام المذكور فيقول :

أردت البصرة، فجئت إلى سفينة أكتريها، وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل، ليس هاهنا موضع، فسألته الجارية أن يحملني فحملني، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع، فقال : أنزلوا ذلك المسكين ليتغذى، فأنزلت على أني مسكين، فلما تغدينا قال يا جارية هاتي شرابك، فشرب وأمرها أن تسقيني، فقلت : رحمك الله إن للضيف حقا، فتركني، لما دبّ فيه النبيذ، قال يا جارية هاتي شرابك فشرب وأمرها، أن تسقيني، فقلت رحمك الله، إن للضيف حقا، فتركني، فلما دب فيه النبيذ، قال : يا جارية هاتي العود، وهاتي ما عندك، فأخذت العود وغنت تقول :

وكنا كغصني بانة ليس واحد
يزول على الخلان عن رأي واحد
تبدل بي خل فخالت غيره
وخليته لما أراد تباعدي
فلو أن كفي لم تردني أبنتها
ولم يصحبها بعد ذلك ساعدي
ألا قبح الرحمن كل مما ذق
يكون أخاً في الخفض لا في الشدائد

ثم التفت إلي فقال : أتحسن مثل هذا؟ فقلت أحسن خيرا منه، فقرأت ﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت، فجعل الشيخ يبكي، فلما انتهيت إلى قوله ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ قال الشيخ : يا جارية : اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى، وألقى ما معه من الشراب في الماء وكسر العود، ثم دنا إلي فاعتنقني، وقال : يا أخي : أترى الله يقبل توبتي؟ فقلت : «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» قال : فواخيته بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي»(1).

---

1- دموع الندامة، ص .190.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

# حتى لا تغرق السفينة 5/1

د. عبد المجيد بنمسعود

تمهيد: تتميز الأمة المسلمة بأنها ذات مرجعية ربانية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهي مرجعية تقوم على كتاب الله العزيز، وسنة نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وإذا كان الكتاب يضع الضوابط الشرعية والنظم والأحكام التي تؤطر حركة الإنسان على هذه الأرض، فإن السنة المشرفة تتولى البيان لكل ذلك، فضلا عن بعض المهام الأخرى التي تتضمن بعض معالم التأسيس فيما يسمى السنة المؤسسة. أما السيرة العطرة فهي تمثل النموذج العملي التطبيقي للخطاب الشرعي، والذي يمثل بدوره أساس البناء الحضاري الذي بقدر ما تستلهم روحه ومفرداته على مر العصور، فإن ذلك يشكل ضمانا لمزيد من التألق والعطاء، على مستوى ارتقاء السلوك البشري، وتحقيق مراد الله في صنع الإنسان الرسالي الذي يعبد الله ولا يشرك به شيئا، وبناء الأمة الشاهدة التي تحمي هذا الكون من التيه والانحراف والهلاك، وتملك القدرة والإمكان لانتشاله وتسديد مساره، كلما أحاطت به الشياطين، وغمسته في لجج الفساد والفجور.

بتعبير آخر، إن النموذج التطبيقي الذي تجسده السيرة، يمثل تنزيلا حيا ونابضا لمجمل القيم التي بثها الخطاب القرآني إلى نفوس المكلفين، وتكفل البيان النبوي برسم معالم ذلكم التنزيل، بالأقوال والأفعال والتقريرات، وبما يستبطنه كل ذلك من تمثيلات وإيحاءات تحرك مكامن الفكر والوجدان، وتمكنهما من امتلاك الحس الحضاري المرهف والدقيق، الذي يعين على اتخاذ القرار الناضج، وتبني الفعل الرشيد، الذي يورث حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

سأحاول في هذه المقالة- بإذن الله- أن أقف وقفة تأملية عند حديث السفينة، مستخلصا بعض ما يوحي به من بصائر وتوجيهات، وقبل ذلك ما يكتنزه من حقائق، ومن إشارات وتنبيهات، على مستوى طبيعة المجتمع الإنساني في بعده العام، وطبيعة المجتمع المسلم المخول بحمل رسالة الشهود على الناس.

**إن أول ما يسترعي نظر الدارس لهذا الحديث النبوي الشريف، تشبيهه للمجتمع الإنساني فيما يكتنفه من أوضاع، وما يجري فيه من علاقات وتفاعلات، بسفينة تمخر عباب البحر، في اتجاهها إلى وجهة معلومة، أوبالأحرى محددة سلفا من القوى الفاعلة والمؤثرة في صنع القرار، وتحديد المسار، على اختلاف مواقعها ومستويات فعلها ونشاطها.**

## أولا: نص الحديث:

روى البخاري رحمه الله :"باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه" من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما **عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لوأنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».**

## ثانيا : تخريج الحديث:

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشركة، " 2493" وأخرجه أيضا في كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، : 2686" بلفظ: " مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها..." وأخرجه الترمذي في الفتن" 2173"وأحمد:4/ 268"، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى "10/91"، "10/288" وفي شعب الإيمان" 7576" 6/91 - 92" وأخرجه بن حبان:" 297"1/532"- إحسان، وفي:" 298" 1/-533 534" بلفظ:" المداهن في حدود الله والآمر بها والناهي عنها كمثل قوم استهموا ..." وفي 301" 1/537"، بلفظ: " مثل المداهن في حدود الله والآمر بها والناهي عنها كمثل قوم استهموا سفينة...".

## ثالثا: قراءة تحليلية في مضمون الحديث:

إن المتدبر لهذا الحديث النبوي الشريف، يستطيع أن ينظر إليه من زوايا عدة، ومستويات متكاملة تتصل كلها اتصالا وثيقا بطبيعة المجتمع، وبما يحكمه من سنن وقوانين، تحدد نوعية التعامل معها سير ذلك المجتمع وطبيعة مآلاته وعواقبه، وإن من يقوم بذلك التدبر بذهن صاف وتجرد علمي كامل، لا يسعه إلا أن يعبر عن إعجاب واندهاش إزاء ما يزخر به هذا الحديث من حقائق، وما يحفل به من زخم نظري بالغ العمق والثراء، بحيث يستدعي ولوج مجاله واستكشاف رحابه وطبقاته، توظيف علوم وتخصصات، والتسلح بمداخل منهجية معتبرة، كفيلة باستخراج كنوزه وذخائره. ومن الأكيد أن يتحول الاندهاش المتولد عن دراسة هذا الحديث، إلى خشوع وإجلال، وإيمان وإذعان، عندما يعلم أن الذي صدر عنه، هوالنبي الأمي الذي ختم به الله عز وجل الرسالات، فأرسله رحمة للعالمين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

### 1- مستويات القراءة والتحليل:

**أ- دلالة تشبيه المجتمع الإنساني بالسفينة:** إن أول ما يسترعي نظر الدارس لهذا الحديث النبوي الشريف، تشبيهه للمجتمع الإنساني فيما يكتنفه من أوضاع، وما يجري فيه من علاقات وتفاعلات، بسفينة تمخر عباب البحر، في اتجاهها إلى وجهة معلومة، أوبالأحرى محددة سلفا من القوى الفاعلة والمؤثرة في صنع القرار، وتحديد المسار، على اختلاف مواقعها ومستويات فعلها ونشاطها.

إن هذا التشبيه النبوي ذودلالة عميقة الغور بعيدة المدى، كيف لا وهويصدر عمن لا ينطق عن الهوى؟، إنها دلالة بعيدة المدى من حيث ما تولده فيمن يتعامل مع الحديث بحس مرهف وفقه صحيح، من وعي حاد، بارتهان مصير سفينة المجتمع، بنوعية ما يجري فيها من أفعال وتصرفات، بل وقبل ذلك، بما يعتلج في أعماق

تتمة ص: 6

## إشراقة

# النساء والاستفتاء بغير حياء

ذ. عبد الحميد صادوق

لقد اختل الفهم في إدراك حقيقة الحياء في زمننا هذا، إذ أن المرأة التي تستحيي في الحيض والنفاس وأمور الجماع والفراش، قد تجدها كشفت مفاتنها أمام عامة الناس، فنعوذ بالله من هذا الوهم وسوء الفهم، إذ أننا نجد النبي ﷺ أنكر على المرأة الحياء عند البحث عن دينها بالاستفتاء، فعن أنس رضي الله عنه قال : «جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له وعائشة عنده : يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه، فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك، فقال ﷺ لعائشة : بل أنت تربت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذلك»(رواه مسلم). فلما أنكر النبي ﷺ على عائشة، وأقرّ أم سليم، قالت عائشة قولتها المشهورة في نساء الأنصار التي يرويها الإمام مسلم في حديث أسماء بنت شكل أنها سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض فقال : تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها. فقالت أسماء : وكيف تطهر بها؟ فقال : سبحان الله تطهر بها. فقالت عائشة كأنها تخفي ذلك : تتبعي أثر الدم. وسألته عن غسل الجنابة فقال : تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تفيض عليها الماء، فقالت عائشة رضي الله عنها : «نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(رواه مسلم).

ونعم الرجال السادة الأنصار، فقد كان الرجل يأذن لزوجته أن تسأل في الأمور الجنسية، وما كانوا يرون أن ذلك يتنافى مع الحياء عند النساء، ونحن اليوم قد يأذن الرجل لامرأته أو بنته أن تمزق الحياء بلباس فاضح مكشوف ولا ينتابه بذلك أدنى حرج ولا خوف، قَبَّل رجل من الأنصار امرأته وهو صائم، فأمر امرأته أن تسأل النبي ﷺ عن ذلك، فسألته فقال ﷺ «إني أفعل ذلك، فقال زوجها : يرخص الله لنبيه فيما يشاء، فرجعت، فقال ﷺ : أنا أعلم بحدود الله وأتقاكم»(رواه عبد الرزاق).

وقد كانت المرأة تأتي النبي ﷺ لتسأل في أمر شديد الحساسية الجنسية، فتضعف عن مباشرة السؤال بنفسها، فتسأل على لسان إحدى أمهات المؤمنين، ولا تستحيي السائلة من حضورها وهي صاحبة المسألة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : «لما قدم المهاجرون المدينة على الأنصار تزوجوا من نسائهم وكان المهاجرون يجبُّون -أي يأتون نساءهم من الوراء في الأمام- وكانت الأنصار لا تجبِّي، فأراد رجل من المهاجرين امرأته على ذلك، فأبت عليه حتى تسأل النبي ﷺ قالت : فأتته فاستحيت أن تسأله، فسألته أم سلمة، فنزلت ﴿نساءكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم﴾»(رواه الإمام أحمد).

فهي ظنت أن ممارسة زوجها تتنافى مع ضوابط الحلال والحرام في الجماع، فخشيت الوقوع في المحظور، كما كا نت تخاف على نفسها الفتنة إذا كان زوجها لا يشبع غريزتها، ولا يحقق تمام تحصينها فتشتكي من ذلك بلا حياء، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : «جاءت امرأة رفاعة القرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسةٌ عنده وعنده أبو بكر فقالت : يا رسول الله إني كنت تحت رفاعة فطلقني فبتَ طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمان بن الزبير، وأنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثلُ الهدبة -وأخذت هدبة من جلبابها- فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يُؤْذَن له، قالت : فقال خالد : يا أبا بكر ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ! فلا والله ما يزيدُ رسول الله ﷺ على التبسم، فقال لها رسول الله ﷺ : لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته، فصار سنة بعده»(رواه البخاري).

فعندما أراد بعض أصحابه الإنكار عليها تبسم ﷺ من قولها ليكون ذلك زيادة في الإقرار، إذ أن أي قول وقع بين يديه وسكت عن إنكاره فهو كقوله ﷺ لأنه منزه عن أن يقر أحدا على خطأ.

وقد تكرر هذا من الصحابيات مما يدل على معرفتهن بأن الحياء في السؤال عن أمور الدين ليس من أخلاق الإسلام في شيء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة ونكح امرأة من مُزينة، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت : ما يغني عني إلا كما تغني هذه الشعرة -لشعرة أخذتها من رأسها- ففرق بيني وبينه، قال : فقال النبي ﷺ لعبد يزيد : طلقها وأرجع أم ركانة، ففعل»(رواه أبو داود). وإن هذه الجرأة في الحق تعتبر من أهم الفوائد التي استخلصها العلماء من هذه النصوص، فعندما توفي زوج سبيعة بنت الحارث وهي حامل، لم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته -فتجملت للخطاب- فدخل عليها أبو السنابل فقال لها : والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشرا، قالت سبيعة : فأتيت النبي ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزويج إن بدا لي»(متفق عليه).

قال ابن حجر : فيه من الفوائد... مباشرة المرأة السؤال عما نزل بها ولو كان مما يستحيي النساء من مثله.

# مرحلة الاتجاه بالدعوة خارج مكة
# الإكرامات الربانية للرسول الصابر المحتسب 2/2

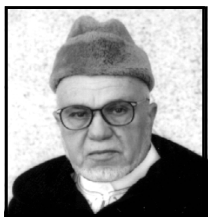

ذ. المفضل فلواتي

**5) قصة المعراج :**

**حديث المعراج وما شاهد فيه النبي ﷺ من الآيات :**

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فَرَغْتُ مما كان في بيت المقدس أُتِيَ بالمِعْرَاج، ولم أر شيئاً قطّ أحسن منه، وهو الذي يَمُدُّ إليه ميتُكم عينيه إذا حُضِرَ، فأصْعَدَني صاحبي فيه، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحَفَظَة عليه مَلَك من الملائكة يقال له إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف مَلَك تحت يَدَي كل مَلَك منهم اثنا عشر ألف مَلَكَ» فقال: يقول رسول الله ﷺ حين حدث بهذا الحديث ﴿وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ﴾(المدثر: 31) قال: «فلما دُخل بي قال: من هذا ياجبريل؟ قال: محمد، قال: أوَ قَدْ بُعِثَ؟ قال: نعم، قال: فَدَعَا لي بخير وقاله».

وقال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم، عمن حدثه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تَلَقَّتْني الملائكة حين دخلتُ السماء الدنيا، فلم يَلْقني مَلَكٌ إلا ضاحكاً مستبشراً، يقول خيراً ويدعو به، حتى لقيني ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه من البِشْر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: ياجبريل، من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك، ولم أر منه من البِشْر مثل الذي رأيت منهم؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنه لو كان ضَحِكَ إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك، ولكنه لا يضحك، هذا مالكٌ خازن النار»، فقال رسول الله ﷺ : «فقلت لجبريل وهو من الله تعالى بالمكان الذي وَصَفَ لكم ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(التكوير: 21) : ألا تأمره أن يريني النار، فقال: بلى».

يامالك أرِ محمداً النار، قال: «فكشف عنها غطاءها فَفَارَتْ وارتفعت حتى ظننت لَتَأْخُذَنَّ ما أرى، قال: فقلت لجبريل: ياجبريل، مُرْهُ فَلْيَرُدَّها إلى مكانها، قال: فأمره، فقال لها: اخْبِي، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه، فما شَبَّهْتُ رجوعها إلا وُقُوع الظل، حتى إذا دخلتْ من حيث خرجت رَدَّ عليها غطاءها».

**آدم وأرواح بنيه :**

قال أبو سعيد الخُدريّ في حديثه عن رسول الله ﷺ : قال: «لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تُعْرَض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويُسَرُّ به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه: أفّ، ويَعْبِسُ بوجهه، ويقول: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث، قال: قلت: من هذا ياجبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تُعْرَض عليه أرواح ذُرِّيته فإذا مرت به روح المؤمن منهم سُرَّ بها وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب، وإذا مَرَّت به روح الكافر منهم أَفَّفَ منها وكرهها وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث».

**صفة أكلة أموال اليتامى ظلماً :**

قال: «ثم رأيت رجالاً لهم مَشَافِرُ كمشافر الإبل، في أيديهم قِطَعٌ من نَار كالأفهار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت: مَن هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء أكَلَةُ أموال اليتامى ظلماً».

**صفة أكلة الربا :**

قال: «ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أرَ مثلها قطّ بسبيل آل فرعون(1) يَمُرُّونَ عليهم كالإبل المَهْيُومة(2) حين يُعرَضون على النار يَطَؤونهم لا يَقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك، قال: قلت مَنْ هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء أكَلَةُ الربا».

**صفة الزناة :**

قال: «ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحَمٌ سمين طيبٌ إلى جنبه لحم غثٌّ مُنْتِنٌ يأكلون من الغثّ المنتن ويتركون السمين الطيب، قال: قلت: من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرَّم الله عليهم منهن».

**صفة النساء الزانيات :**

قال: «ثم رأيت نساءً مُعلَّقات بثُدْيَهِنَّ، فقلت: مَن هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال مَن ليس من أولادهم». قال رسول الله ﷺ : «اشْتَدَّ غَضَبُ الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم(3) فأكل حَرَائِبَهُمْ(4) واطَّلَعَ على عَوْراتهم»(5).

**عود إلى حديث أبي سعيد رضي الله عنه :**

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخُدريّ، قال: «ثم أصْعَدَني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابْنَا الخالةِ عيسى ابن مريم ويَحيى بن زكريا.

«ثم أصعدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر، قال: قلت: مَن هذا ياجبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب، قال: «ثم أصعدني إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل، فسألته مَن هو؟ فقال: هذا إدريس، قال: يقول رسول الله ﷺ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾(مريم : 57).

«ثم أصعدني إلى السماء الخامسة، فإذا فيها كَهْلٌ أبيض الرأس واللحية عظيم العُثْنُون(6) لم أر كهلا أجملَ منه، قال: قلت: مَن هذا ياجبريل؟ قال: هذا المُحَبَّبُ في قومه هارون بن عمران: «ثم أصعدني إلى السماء السادسةَ، فإذا فيها رجل آدَمُ طويل أقْنَى كأنه من رجال شَنُوءة، فقلت له: مَن هذا ياجبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران.

ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، لم أرَ رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه، قال: قلت: مَن هذا ياجبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم.

ثم دخل بي إلى الجنة، فرأيت فيها جارية لَعْسَاءَ(7) فسألتها لِمَن أنت؟ -وقد أعجبتني حين رأيتها-، فقالت: لِزيد بن حارثة، فَبَشَّرَ بها رسول الله ﷺ زَيْد بن حارثة».

**6) فرض الصلوات الخمس :**

قال ابن إسحاق: ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ فيما بلغني أن جبريل لم يَصْعَد به إلى سماء من السَّماوات إلا قالوا له حين يَستأذن في دخولها: من هذا ياجبريل؟ فيقول: محمد ﷺ ، فيقولون: أوَ قَدْ بُعِثَ إليه؟ فيقول: نعم، فيقولون: حَيَّاهُ الله من أخ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، فَفَرَضَ عليه خمسين صلاةً كل يوم.

قال رسول الله ﷺ : فَأقْبَلْتُ راجعاً، فلما مررتُ بموسى بن عمران، ونِعْمَ الصاحبُ كان لكم، سألني كَم فرضَ عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم، فقال:

إن الصلاة ثقيلةٌ، وإن أُمَّتَكَ ضعيفةٌ، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفِّفَ عنك وعن أُمَّتك، فرجعتُ فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً، ثم انصرفتُ فمررتُ على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت، فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً، ثم انصرفت، فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت، فسألت ربي، فوضع عني عشراً، ثم رجعت، فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت، فسألته، فوضع عني عشراً، فمررت على موسى، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه، قال: فارجع فاسأل، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني إلا خَمْسَ صلوات في كل يوم وليلة، ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت:

«قد راجَعتُ رَبِّي وسألته حتى اسْتَحْيَيْتُ منه، فما أنا بفاعل، فَمَنْ أدَّاهُنَّ منكم إيماناً بهن واحتساباً لَهُنَّ كان له أجر خمسين صلاةً» صلوات الله على محمد ﷺ.

**7- إيمان الجن به ﷺ :**

أرسل الله تعالى للرسول ﷺ وفداً من الجن فاستمعوا إليه وآمنوا به وصدقوه، ورجعوا إلى قومهم يدعونهم لله تعالى، انظر قصة ذلك في سورتي الأحقاف والجن.

---

1- أي يجلسون في الطريق التي يمر بها آل فرعون الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى بأشد العذاب.

2- المهيومة: المصابة بداء العطش تشرب ولا ترتوي فتنتفخ بطونها من كثرة الماء في أجوافها.

3- أي حملت من الزنى ونسبت ولدها من الزنى لزوجها وقومه.

4- أي يأكل أموالهم وخيراتهم خلال فترة تربيته وفي الميراث الذي يرثه ممن نسب إليه باطلا.

5- لأنه يطلع على أخوات وبنات الرجل الذي نسب إليه باطلا ولا يحل له.

6- عظيم العثنون: المراد أنه عظيم اللحية.

7- أي في شفتيها سمرة وهو أمر مستحب في

## تتمة : الحديث

نفوس أفرادها أوأعضائها من أحاسيس وأفكار، وطموحات وآمال. فبقدر ما تتسم به هذه من ارتباط بجوهر الفطرة واستقاء من معينها الصافي، وتتصف تلك، أي الأفعال والتصرفات، من استقامة واستواء، يكون نصيبها من السلامة والصلاح، واقترابها من شاطئ الأمان.

والعكس صحيح تماما، أي بقدر ما تتلون أحاسيس ركاب سفينة المجتمع وأفكارهم وطموحاتهم وآمالهم بالقتامة والضياع والانشطار، وتوسم أعمالهم وتصرفاتهم بالفساد والانحراف عن جادة الصواب، يكون نصيب السفينة وحظها من الأهوال والأخطار التي تهدد سلامتها في الصميم، فتودي بها ولوبعد حين.

وإن من شأن ذلك الوعي الحاد الذي يولده التشبيه النبوي الكريم- ضمن الوضع المتكامل للشخصية المسلمة- أن يثمر يقظة لا تفتر، وانتباها لا يخبو، ومن ثم اندفاعا صادقا وهمة عالية لحراسة سفينة المجتمع، والذود عنها ضد كل ما من شأنه أن يتهددها من أعاصير وأنواء، بدافع قوي من استشعار المسؤولية عن مصير السفينة ومالها.

إن من شأن تشبيه المجتمع بالسفينة أن يحول دون احتجاب حقيقة الوضع البالغ الخطورة والحساسية الذي يكتنف المجتمع، وراء كثافة من الغفلة، لأن الذي يترسخ في وعيه ووجدانه أن سفينة المجتمع وسفينة البحر سيان، لا يليق به أن يتطرق إليه وارد من غفلة عما هي مقبلة عليه من تحديات وصعاب، إلا أن يكون ذلك الوارد وليد غفلة عن الحقيقة لسبب من الأسباب، يمس صميم الوعي نفسه، من حيث هو، أومن حيث ما ينبغي أن يولده من قوة الإرادة التي تقف وراء الممارسة والفعل.وإنه من الأكيد أن ما يقع للسفينة من مخاطر وأهوال، ليس ناتجا فقط وبشكل مباشر، عن سلوك واحد أوأكثر ممن يوجد على ظهرها من الأفراد، بل هوناتج في محصلة الأمر عن نكوص المجموع عن الحيلولة دون هؤلاء، والمساس بأمن سفينة المجتمع، وهذا ما عبر عنه الحديث الشريف في قوله ﷺ : «فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا».

إن المفروض أن يؤدي تشبيه المجتمع بالسفينة بمن يتلقون الخطاب النبوي تلقي قبول وإذعان، وتمثل وتطبيق، إلى اليقظة الدائمة، لكل ما يتهدد تلك السفينة من أخطار محدقة.

يقول الدكتور محمود توفيق محمد سعد: "الصورة التي يقدمها النبي ﷺ لواقع الحياة على هذه الأرض، وعلائق الناس فيها ببعضهم ومسؤوليتهم في الحفاظ على بقائها وصلاحها، صورة منتزعة من واقع مشاهد، لا يتأتى لأحد أن يجادل، أويتوقف فيه البتة، فلن يكون منه إلا التسليم بما ينتهي إليه التصوير والمقارنة والموازنة، من هدي يأخذ بأيدي الناس إلى التي هي أهدى وأقوم، اقتناعا واطمئنانا، فينقادون إليه انقياد ذي الأغلال، إلى خير يرمى به إليه"(كتاب الأمة رقم:41، إصدار" 1994 ص: 38).

## قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014

■ أو الأستاذ **المفضل فلواتي** على الحساب البريدي رقم : P 11329 **الرباط**.

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

**جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :**

**حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 الدكارات - فاس - المغرب**

**عقد المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مؤتمره العالمي للفتوى وضوابطها، وقد نشرت الجريدة في العدد الماضي توصيات المؤتمر، ونظراً لأهمية موضوع الفتوى ننشر في هذه الحلقة وما يليها خلاصة ما أسفر عنه المؤتمر بشأن الفتوى وضوابها.**

# ميثاق الفتوى 2/1

**بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، نبينا محمد وعلى وأصحابه أجمعين . وبعد: فقد دعت رابطة العالم الإسلامي إلى (المؤتمر العالمي للفتوى وضوابطها) عدداً كبيراً من المفتين والعلماء في العالم الإسلامي ، وذلك لمناقشة قضية من أهم قضايا المسلمين المعاصرة ، ألا وهي قضية الفتوى، وبيان أهميتها وخطرها وما يعرض لها من مشكلات قد تثير بلبلة في صفوف المسلمين، وتؤدي في بعض الأحيان إلى الاختلاف والفرقة وتشويه صورة الإسلام، وقد خلصوا إلى ميثاق الفتوى، المكون من ثلاثة أبواب ، والمشتمل على إحدى وأربعين مادة .**

## الباب الأول : مبادئ وأساسيات

(حقيقة الفتوى، ومجالاتها، وأهميتها، وحكمها، وشروط المفتي، وصفاته، وآدابه ، وآداب المستفتي)

**1- الفتوى هي**: الإخبار بحكم الله عن دليل لمن سأل عنه .

وهي من البيان الذي أوجبه الله على العلماء في قوله: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾(آل عمران :187).

وحذر سبحانه من كتمانه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾(البقرة :159).

كما حذر نبيه ﷺ من ذلك في قوله: «من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»(أخرجه أبو داود والحاكم).

**2-المفتي هو**: المخبر بحكم الله عن دليل لمن سأل عنه.

**3-مجالات الفتوى :** تشمل الفتوى جميع تصرفات العباد ، لا يخرج عنها اعتقاد، أو قول ، أو عمل ، وهذا يشمل علاقة المكلف بربه، وبنفسه وبغيره ، وبالدولة التي يعيش فيها، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول في زمن السلم والحرب. أي إن الفتوى تتصل بمختلف المجالات : العقيدة والعبادة والمعاملة والمال والاقتصاد والأسرة والسياسة والحكم والقضاء وغير ذلك .

**4- أهمية الفتوى :** الفتوى شأنها عظيم، فالمفتي مخبر عن الله وعن رسوله ﷺ وبقدر عظم شأن الفتوى وشرفها وأجرها يكون عظم خطرها واشتداد ضررها -إذا تصدى لها من ليس أهلاً لها- على من يستفتيه ، وعلى سائر الأمة.

قال ﷺ : «من أُفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه»(رواه أبو داود واللفظ له والحاكم وصححه).

وقال ﷺ «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(متفق عليه).

ولهذا كان السلف -رحمهم الله- مع غزارة علمهم ، وحرصهم على تعليم الناس وإجابة أسئلتهم يردون السائل إلى غيرهم ليكفيهم عهدة الفتوى.

5- للفتوى الصادرة عن أهلها أثر كبير في بيان حقائق الإسلام وتفنيد أباطيل خصومه ، وتأكيد أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وصالحة لتنظيم مختلف نواحي الحياة الخاصة والعامة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والإدارية وغيرها ، على أتم الوجوه وأعدلها .

**6- حكم الفتوى :** الأصل في الإفتاء أنه فرض كفاية. قال تعالى : ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة : 122).

وتجب الفتوى وجوباً عينياً على المفتي المؤهل في بعض الأحوال، نحو أن لا يوجد مؤهل غيره.

**7- يحرم على المفتي الفتوى في الأحوال التالية:**

أ- إذا كان لا يعلم حكم المسألة أصلاً. ولا يستطيع استنباط حكمها وفق الأصول الشرعية .

ب- إذا كان الإفتاء بهوى من المفتي . قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: 33).

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(النحل116-117).

وقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾(المائدة : 48).

ج- إذا كان منشغل الفكر ، وفي حال لا يتمكن معها من التأمل والنظر.

د - إذا خشي غائلة الفتوى بأن تؤدي إلى مآلات غير محمودة.

ويجوز امتناع المفتي عن الفتوى في الأحوال التالية:

أ- إذا خشي لحوق ضرر به.

ب- إذا قام غيره مقامه.

ج- إذا كانت الفتوى مما لا نفع فيها للسائل.

د- إذا كانت المسألة المسؤول عنها غير واقعة.

**8- شروط المفتي :** يشترط في المفتي شروط ، لا يجوز له التصدي للإفتاء قبل تحققها، ولا يحل لأحد أن يستفتيه بدونها، وهي :

أ- الإسلام.

ب- البلوغ.

ج- العقل.

د - العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها.

هـ- العدالة ، فمن اختل دينه ، أو فسدت مروءته لم يصلح للفتيا ، وذلك لعدم الوثوق بقوله.

9- من كان من أهل الاجتهاد ، وجب عليه الإفتاء بما أداه إليه اجتهاده.

ومن لم يبلغ رتبة الاجتهاد من أتباع المذاهب الفقهية وكان من أهل التخريج أو الترجيح جاز له الإفتاء تخريجاً على أقوال المجتهدين ، أو ترجيحاً بالدليل من هذه الأقوال.

ومن كانت رتبته دون ذلك ، جاز له الإفتاء بما علمه بدليله، من مذهبه أو مذهب غيره.

**10- من أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المفتي :**

أ - أن يكون صحيح التمييز ، قوي الفطنة ، يتوصل بذكائه إلى إيضاح ما أشكل وفصل ما أعضل .

ب- أن يتصف بالأناة والتثبت والحلم والمهابة والوقار.

ج- أن تكون له معرفة بأحوال المستفتين وبالواقع الذي يعيشون فيه ، إما بنفسه أو بمن يستعين به من أهل الخبرة.

د- أن تكون لديه خبرة في تنزيل الأحكام على الوقائع وذلك بالتلمذ على من صقلتهم التجربة، والاطلاع على فتاواهم، والتأمل في مآخذها ، وكيفية تنزيل الأحكام على الوقائع.

**11- من أهم واجبات المفتي وآدابه:**

أ- الإخلاص لله تعالى ، ومراقبته.

ب- مشاورة أهل العلم والاختصاص عند الالتباس.

ج- التوقف عن الإجابة عند عدم ظهور الحكم له، وعدم التحرج من قول : لا أدري.

د- عدم التردد في الفتوى عند ظهور الحكم له.

هـ- المحافظة على أسرار المستفتين.

و- دلالة المستفتي على ما ينفعه ، ومراعاة الجوانب التربوية والتوجيهية في فتواه.

ز - عدم التعرض لشخص المفتي عند مناقشة رأيه الشرعي.

**12- من آداب المستفتي:**

أ- اجتناب السؤال عما يؤدي إلى الارتياب في دينه وعمله.

ب- البحث عن المفتي الأهل، إما بنفسه إن قدر ، أو بخبر العدل ، أو نحو ذلك

ج-- الحرص على العلم بالحكم المبرئ لذمته، وليس البحث عمن يفتيه وفق رغبته وهواه.

د- التأدب مع المفتي ، وعدم التلبيس عليه.

## الباب الثاني : مشكلات الفتوى، وأسبابها، وآثارها

**13- أهم المشكلات التي تواجه الفتوى في العصر الحاضر:**

أ- ابتعاد بعض المتصدين للفتوى عن منهج الوسطية المبني على الكتاب والسنة ، وسلوكهم أحد طريقين متطرفين : إما التشدد، وإما التساهل المفرط.

ب- صدور بعض الفتاوى بآراء شاذة عارية عن الدليل الصحيح المعتبر .

ج- انفراد بعض المتصدين للفتوى بالإفتاء في نوازل تمس المجتمعات ، وتتصف بطابع العموم ، والتشعب الذي تخرج به الفتوى عن حيز الفن الواحد إلى حيز الفنون المتنوعة ، مما يجعل أمر استيعابها وتصورها على حقيقتها معتركاً صعباً لا يستطيع خوض غماره الواحد بمفرده.

د- صدور بعض الفتاوى المخالفة لأصول الاعتقاد ، وكليات الشريعة ، ومبادئ الأخلاق، وما شرع من الأحكام بنصوص ثابتة قطعية.

هـ- التصدي للفتوى ممن لم تتحقق فيه شروط المفتي وصفاته وآدابه.

و- اجتراء من ليس من أهل العلم الشرعي على فتاوى العلماء الربانيين ، وقرارات المجامع الفقهية والتشكيك فيها.

ز - تعارض بعض الفتاوى في المسائل المتجانسة، وما يؤديه ذلك أحياناً من الحيرة والشك لدى العامة.

ح- توسع بعض المفتين في ذكر الخلاف دون بيان الرأي المختار.

**14- أهم أسباب مشكلات الفتوى في العصر الحاضر ، ما يلي:**

أ- ضعف العلم بالنصوص ودلالاتها، وبالضوابط والأصول الحاكمة للاستنباط والتفسير والتأويل.

ب- قلة عدد المؤهلين للفتوى الذين تتوفر فيهم شروط المفتي وصفاته وآدابه.

ج- التذرع بالمحافظة على المصالح وتلبية الضرورات والحاجات الموهومة.

د- دعوى التجديد ومسايرة العصر.

هـ- طلب بعض وسائل الإعلام الفتوى ممن ليس أهلاً لها.

و - مراعاة المصالح الخاصة ،والهوى والتشهي، أو حب الشهرة والظهور ، أو عدم الخوف من الله ومراقبته.

ز- الفهم غير الصحيح لمعنى التيسير في الإسلام.

ح- عدم فهم بعض المتصدرين للفتوى فقه الواقع ومآلاته، وعدم مراعاتهم ما قد تحدثه هذه الفتاوى من المفاسد والأضرار.

**15- أهم الآثار السلبية التي نتجت بسبب هذه المشكلات في حالات عديدة:**

أ- تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، الذي يعد من كبائر الذنوب، بل قد يخرج المسلم عن دائرة الإسلام.

ب- بروز القول بالتكفير بالمعصية، واستحلال دماء المسلمين والخروج على ولاة الأمر.

جـ- تشويه صورة الإسلام، والتنفير منه.

د - حصول الفرقة في بعض المجتمعات الإسلامية ، وانقسام المسلمين فيها إلى فرق وأحزاب.

هـ- زعزعة الأمن والاستقرار ، وإشغال الأمة عما هو أهم وأصلح للمجتمع.

و - ظهور الريبة والشكوك بين أفراد المجتمع وولاة أمورهم.

ز- إضعاف جهات الفتوى المعتبرة، والتسبب في عدم القناعة بها لدى البعض.

ح- النيل من العلماء الربانيين ، ورميهم بالجمود والتشدد في الفتوى.

ط- الوقوع في الحيل المحرمة ، وتتبع الأقوال الشاذة المعارضة للأدلة المعتبرة ، وسلوك منهج التلفيق غير الصحيح ؛ اتباعاً للهوى وما تميل إليه النفس ، والتماساً لرغبات البعض.

**في العدد القادم إن شاء الله :**
**الحلول والضوابط**

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله.. ﴾

## دور القوى الكبرى في نشأة (إسرائيل) وتوسعها (2)

# دور الاستعمار البريطاني في تأسيس الكيان الصهيوني 2

## التوسع الصهيوني والموقف البريطاني

**إعداد : مركز الدراسات الحضارية**

– القاهرة

بعد قيام ثورة 23 تموز / يوليو 1952 ودخول جمال عبد الناصر في سلسلة معارك مع الغرب بدءاً بكسر احتكار السلاح الغربي وعقد صفقة الأسلحة الشهيرة عام 1955 مع المعسكر الشرقي ، ومرورا بمعركة تمويل السد العالي ، وانتهاءً بتأميم قناة السويس؛ كان رد الفعل الغربي إزاء هذا التحدي من جانب عبد الناصر هو مجيء العدوان الثلاثي على مصر من قبل بريطانيا وفرنسا و إسرائيل عام 1956، ومع اختلاف الأهداف التي حركت الأطراف الثلاثة للعدوان إلا أن الجميع قد اتفق على ضرورة تقليم أظافر الدولة الأولى في النظام العربي وكسر شوكتها . وقد رأت بريطانيا التي كانت حينئذ إمبراطورية تحتضر وتلفظ أنفاسها الأخيرة، أن العدوان هو محاولة أخيرة للحفاظ على ما تبقى لها من مواقع في المنطقة ، وقد فشل العدوان الثلاثي الذي لم تؤيده الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفياتي ، وتم انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من مصر في 23 كانون الأول/ ديسمبر 1956، وانتهت حرب السويس بعد أن حققت مصر مطالبها واستردت كل حقوقها إلا حقاً واحداً هو منع (إسرائيل ) من خليج العقبة. (1).

ومنذ العدوان الثلاثي أصبح الموقف البريطاني هو التأييد الكامل لـ(إسرائيل) وذلك انعكاسا لتبعية بريطانيا للولايات المتحدة ، وقد استمر هذا التأييد حتى عام 1967، وعند وقوع حرب حزيران/يونيو 1967 تقدمت بريطانيا بمشروع القرار 242 إلى مجلس الأمن ، وجاء هذا القرار غامضاً ، وهو ما يعكس أسلوب بريطانيا التقليدي ، وقد أثار غموض القرار خلافا شديدا بين (إسرائيل) وبريطانيا، إلى أن تولى ما يكل ستوارت وزارة الخارجية البريطانية بدلاً من جورج براون الذي كان يسمى "صديق العرب"، واستطاع مايكل ستوارت تضييق هوة الخلاف مع (إسرائيل).

وعندما تولى حزب المحافظين الحكم كان له تصور يقوم على عدة أسس هي : انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها عام 1967 مع تعديل طفيف في الحدود ،ووجود أرض عازلة بين الأطراف، ووجود قوات دولية لا تشترك فيها فرنسا وبريطانيا، وضمان حدود آمنة لـ(إسرائيل) وحل مشكلة اللاجئين بعقد مؤتمر يضم (إسرائيل) والاطراف المعنية للوصول إلى حل لهذه المشكلة.

وقد بذلت بريطانيا جهوداً كبيرة إبان فترة حكم المحافظين لتحسين علاقاتها بالدول العربية ، إلى أن جاءت حرب تشرين الأول / أكتوبر التي أثرت بمتغيراتها على بريطانيا وجعلتها أكثر ميلاً إلى تحسين علاقاتها بالدول العربية. ونظراً لوقوع الحظر النفطي وتأثر بريطانيا به إلى درجة إغلاق المصانع وحدوث بطالة شديدة وتعرض اقتصادها لهزة كبيرة ، كان على بريطانيا أن تحدد موقفاً واضحا من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ورأت الحكومة البريطانية أن مصلحة بلادها في عدم التحيز الكامل لجانب (إسرائيل) على حساب علاقاتها مع العرب ، ومن ثم فقد أيدت بريطانيا عقد مؤتمر جنيف للسلام ، وأعربت عن رغبتها في المساهمة بدور كبير لإنجاح هذا المؤتمر.

وعلى الرغم من تصويت بريطانيا في الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد القرار الخاص بمنح منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب، فإنها برررت ذلك بأسباب قانونية ، وأصدرت سفارتها في الدول العربية بيانا لتوضيح هذه الأسباب ، ومنذ ذلك الحين أصبح الموقف البريطاني من القضية الفلسطينية يقوم وفقاً للأسس السابق ذكرها وامتد هذا الموقف في ظل اعتماد التسوية السياسية وسيلة لإنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي ، حيث ساهمت بريطانيا بجهد في إطار جهود المجموعة الأوروبية التي تكن لها مصلحة في الضغط على (إسرائيل) أو الدخول في صدام مع الولايات المتحدة التي كانت تعارض ممارسة أية ضغوط على (إسرائيل) ، ومن ثم كان موقف بريطانيا خليطاً من السياسات التي لم تنطوي على عناصر ترضي جميع الأطراف دون إرضاء أي منها على حساب الآخر ، ودون إرضاء أي منها إرضاءً تاماً.

ويمكن أن يبرر هذا السلوك من قبل بريطانيا بانحسار دورها كقوة عظمى كبرى إلى حد ما ، وبروز دور الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية؛ الأمر الذي جعل بريطانيا لا تولي أهمية كبيرة للسياسة الخارجية مثلما كان الأمر في ظل الحقبة الاستعمارية.

ومع بدء مسيرة السلام العربية - الإسرائيلية التي انطلقت منذ مؤتمر مدريد، فإن سياسة بريطانيا إزاء هذه التطورات جاءت ضمن سياسة المجموعة الأوروبية التي أيدت عملية السلام التي ارتضتها أطراف الصراع المعنية ، وتميزت سياسة بريطانيا من بين سياسات دول المجموعة بأنها كانت أكثر ميلاً في اتجاه تأييد الموقف الأمريكي في كل صغيرة وكبيرة، إلى الحد الذي يشبه علاقة التبعية بين البلدين. وقد ساهمت بريطانيا بجهود في إطار المجموعة الأوروبية لدعم سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال إقامة مشروعات في أراضي الحكم الذاتي ، وبالمثل استمرت المساعدات البريطانية "لاسرائيل" وقام وزير الخارجية البريطاني دوجلاس هيرد ووزير الدولة للشؤون الخارجية دوجلاس هوج؛ بعدة زيارات في المنطقة لتفعيل عملية السلام على المسارات المختلفة.

وعلى مستوى المفاوضات المتعددة الأطراف فإن المجموعة الأوروبية واليابان وكندا شاركت روسيا والولايات في رعاية هذه المفاوضات ، وتلعب بريطانيا دوراً مهماً في هذا الإطار من خلال اللجان الخمسة التي انبثقت عن هذه المفاوضات.

وفي المحصلة النهائية فإن الدور البريطاني قد بدأ يسير في اتجاه الذوبان في السياسة الخارجية للمجموعة الأوروبية ، والمحافظة على شعرة معاوية من خلال الحرص على اتباع مواقف متشابهة مع المواقف الأمريكية من ناحية ، وبحيث لا تغضب العرب من ناحية ثانية ، ولا تلغي دعمها لـ (إسرائيل) من ناحية ثالثة.

---

1- انظر محمد حسنين هيكل : ملفات السويس، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1986، 535.



## الدور البريطاني

■ **دعم فكرة الدولة الصهيونية 1907م:**

- حزب المحافظين يدعو رئيس الوزراء البريطاني لإقامة حاجز بشري بالقرب من قناة السويس ، يشكل قوة عدوة لشعوب المنطقة وصديقة لأوروبا.

■ **احتلال فلسطين 1917/10م:**

- القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي تنتزع فلسطين من العثمانيين، وذلك بمساعدة قوات الثورة العربية بقيادة الملك فيصل الأول.

■ **وعد بلفور 1917/11/2م:**

- وزير الخارجية "بلفور" يصدر وعده التاريخي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

■ **الانتداب الدولي 1922/9م:**

- مجلس عصبة الأمم يؤيد الانتداب البريطاني على فلسطين ، وهو ما كان قائما من قبل بموافقة دول الحلفاء.

■ **تنفيذ وعد بلفور 1917 - 1947:**

- فتحت بريطانيا على مدار 30 عاما من احتلالها لفلسطين الأبواب أمام هجرة اليهود إليها ، وقدمت الدعم والحماية اللازمة للمهاجرين.

■ **مشروع بيل للتقسيم 1937م:**

- بفعل انفجار ثورة فلسطين الكبرى 1936م شكلت بريطانيا لجنة بيل التي أوصت بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية وإبقاء القدس وحيفا تحت إشراف الانتداب البريطاني.

■ **التخلص من المسؤولية 1947:/4**

- نقلت بريطانيا النزاع بين العرب واليهود إلى الأمم المتحدة بعد تنفيذ وعدها إنشاء وطن قومي لليهود.

■ **الانسحاب لصالح إعلان دولة (إسرائيل) 1948:/5/14**

- انسحبت القوات البريطانية من فلسطين عند منتصف الليل ، وفي النهار التالي أعلن المجلس الوطني لليهود قيام الدولة الإسرائيلية في تل أبيب.

■ **العدوان الثلاثي على مصر 1956م:**

- شنت بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل) عدواناً مشتركاً على مصر.

■ **استمرار التأييد لـ(إسرائيل) 1956 - 1973م:**

- استمرت بريطانيا التي تراجعت مكانتها الدولية في تأييد (إسرائيل) سياسيا وعسكريا.

■ **تأييد عملية السلام الأمريكية 1973 - 1994م:**

## فلسطين في الوثائق البريطانية

في 1840/8/11م بعث رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون بمذكرة إلى سفير بريطانيا في تركيا بخصوص وتوطين اليهود في فلسطين يقول فيها:

"يقوم بين اليهود الآن المبعثرين في كل أوروبا شعور قوي بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين أخذ في الاقتراب، ومن المعروف جيدا أن يهود أوروبا يملكون ثروات كبيرة.. فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان (العثماني) فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل .. وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيداً لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط كهذا"(2).

■ **في 1861/ قال الكاتب البريطاني توماس كلارك في كتابه "الهند وفلسطين":**

**"إن بعث الأمة اليهودية سوف ينعش بني إسرائيل ويعود علينا بأفضل المنافع قاطبة، ومن المؤكد أن احتلال اليهود لفلسطين تحت حماية بريطانيا يجب أن يكون بمثابة الضرورة القصوى على الإطلاق ، وإذا كانت بريطانيا تعتمد من جديد على تجارتها كحجر الزاوية في عظمتها، وإذا كان أقرب مجرى للتجارة وأفضله يمر عبر محور القارات الثلاث الكبرى، وبما أن اليهود يؤلفون شعباً تجارياً في الجوهر ، فهل توجد بادرة أكثر طبيعية ومنطقية من زرعهم على طول ذلك الطريق العظيم للتجارة القديمة؟.. أرجعوا إليهم قوميتهم وبلادهم من جديد ، وليس من سلطة على سطح الأرض تستطيع انتزاعها منهم"**(3).

في مذكرة من السفارة البريطانية في بتروجراد بروسيا بتاريخ 1916/3/13م إلى وزير الخارجية الروسي لاستطلاع رأي حكومته في شأن استعمار اليهود لفلسطين:

"وصلت برقية من سير إدوارد جراي تقرر ان اهتمام حكومة جلالة الملك قد انصرف أخيراً إلى مسألة الاستعمار اليهودي في فلسطين فإذا كانت وجهة النظر المشار إليها صحيحة فإن الواضح أن نتائج سياسية هامة يمكن الوصول إليها بواسطة الانتفاع من الفكرة الصهيونية، وأجدى هذه النتائج اجتذاب العناصر اليهودية في الشرق وفي الولايات المتحدة وغيرهما إلى جانب الحلفاء"(4).

■ **وعد بلفور في 1917/11/2م:**

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. وعلى أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى"(5).

■ **من مذكرة لبلفور 1919/8/1 بخصوص لجنة "كينج - كراين" الأميركية حول سوريا وفلسطين"**

**"فقد التزمت الدول الأربع الكبرى بعهودها تجاه الصهيونية، ولا ريب في أن الصهيونية سواء أكانت على حق أم على باطل ، وسواء أكانت طيبة أم شريرة ؛ عميقة الجذور في تقاليدنا، وفي حاجاتنا الراهنة ، وفي آمالنا المقبلة ، وهي أكثر أهمية من رغبات وأهواء الـ700 ألف عربي الذين يقيمون الآن في البلاد العريقة"**(6).

■ **من رسالة ملك بريطانيا إلى شعب فلسطين بمناسبة إصدار مجلس الحلفاء في سان ريمو في 20/4/20م قراره انتداب بريطانيا على فلسطين :**

".. إن الدول المتحالفة والمشتركة قد قررت أن تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين بالتدريج"(7).

---

2- ملف وثائق فلسطين "موف" الهيئة المصرية العامة للاستعلامات ص48.
3- موف ص53. \\ 4- موف ص 191 . نقلا عن الدولة العربية لمحمود كامل المحامي.
5- موف ص 217 . نقلاً عن وثائق القضية الفلسطينية ، الجامعة العربية.
6- موف ص 257 . نقلاً عن وثائق عن سياسة بريطانيا الخارجية.
7- موف ص 275 ، وثائق القضية الفلسطينية ، الجامعة العربية.

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله.. ﴾

# إطلالة على تاريخ فلسطين (7)

# المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني على مدار قرن (1897م – 2000م) 6

## المرحلة السادسة (1964-1993) من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية

**ذ. ناجي علوش**
كاتب صحفي من الأردن

تتسم هذه المرحلة بالكثير من التطورات في ميدان الصراع العربي- الصهيوني، وكان من أبرز هذه التطورات:

1 - احتدام الحروب العربية - الصهيونية (1967، 1973، 1982)، وقد حوَّلت هذه الحروب الصراع إلى صراع عربي - صهيوني سواءً من حيث الجيوش المشاركة، أم ميادين القتال، وكان من نتيجة هذه الحروب الثلاثة أن احتُلَّت سيناء والجولان والضفة الغربية سنة 1967م، وجنوب لبنان سنة 1982م، وتحول الثقل الأساسي للمفاوضات إلى بحث العلاقات الصهيونية - العربية، وقاد ذلك إلى اتفاقية كامب ديفيد سنة 1979م، ومفاوضات مدريد سنة 1991م، واتفاق واشنطن واتفاقية السلام الأردنية - الصهيونية سنة 1994م.

2 - قيام "م.ت.ف" والمقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة وخارجها، والمعارك التي خاضها الشعب الفلسطيني على كل الصعد السياسية والعسكرية والثقافية، وكان من أهم ما أنتجته هذه المرحلة على الصعيد العربي عامة - والفلسطيني خاصة - اتجاه التسوية السلمية مع العدو الصهيوني.

3 - حدوث تطورات دولية كبيرة؛ من انهيار الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية، إلى حرب الخليج (1990-1991)، ومن تفرد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالقيادة الدولية، إلى انفجار الصراعات الإثنية والطائفية والاجتماعية في بلدان العالم الثالث.

وتعتبر هذه المرحلة أغنى المراحل في مقاومة العدو الصهيوني، سواء كان ذلك عبر الدور العربي في الصراع العربي - الصهيوني، أم عبر المقاومة الفلسطينية.

### تشكيل "فتح" وقيام المنظمة

وتبدأ هذه المرحلة بحدثين بارزين: أولهما: إعلان قيام "م.ت.ف" سنة 1964م، وثانيهما: إعلان حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" بدء المقاومة المسلحة مع مطلع عام 1965م.

ولقد أنشئت المنظمة بقرار رسمي عربي في الجامعة العربية سنة 1963م، إلا أن هذا الحدث جاء نتيجة تزايد الشعور العربي بضرورة إبراز عمل فلسطيني سياسي، وتزايد شعور الفلسطينيين بأن عليهم أن يلعبوا دورًا أكبر، إن لم يكن الدور الأول في الدفاع عن قضيتهم.

ورغم الحذر الفلسطيني من الأنظمة العربية، فإن قرار إنشاء المنظمة تم تلَقِّيه بترحاب شعبي واسع رغم معارضة فئات صغيرة، وربما كان دور عبد الناصر في عملية الإنشاء سببًا من أسباب القبول بها شعبيًا. أما على صعيد القيادات التقليدية وشبه التقليدية الفلسطينية، فكان يهمها أن تكون جزءاً من العملية السياسية العربية ؛ لأنها لم تكن تطمح -وما زالت لا تطمح - بدور مستقل.

أما إعلان "فتح" بيانها الأول، فقد لقي صدى أعمق في أوساط المثقفين عامة والمسيسين خاصة، وفي أوساط الشعب العادي؛ لأن الشعب يؤمن أن طريق المقاومة المسلحة هو طريق فلسطين، وزاد من هذه القناعة أن الأنظمة التقليدية سقطت في مصر وسوريا والعراق، وهي الأقطار العربية الأساسية، ورغم ذلك فإن المواطنين لم يروا جديداً على صعيد فلسطين، فلا الوحدة تحققت لتكون طريق التحرير، ووحدة مصر وسوريا سنة 1958م انقسمت سنة 1961م، والخلافات في الحركة القومية وبين القوميين والشيوعيين محتدمة، ثم إن الجزائر تحررت بالحرب الشعبية.. وكان هذا كله يدفع باتجاه تحرير فلسطين إلى المقاومة المسلحة.

وقاد قرار "فتح" إلى أمرين؛ الأول تحفيز الجماهير في فلسطين والأقطار العربية للقتال، والثاني اتجاه القوى المختلفة إلى إنشاء فصائل فلسطينية مسلحة.

وقد جاءت حرب حزيران والهزيمة فيها؛ لتؤكد ضرورة المقاومة المسلحة، ولتجعل هذه المقاومة الشغل الشاغل للجميع في فلسطين وسائر الوطن العربي.

كان التحرير الكامل هو الهدف المعلن، والمقاومة المسلحة هي الأسلوب الوحيد، وطرحت المقاومة المسلحة بديلاً للحرب النظامية، ونقيضًا للحل السياسي وترافق مع ظهور المقاومة المسلحة، وخاصة بعد 1967م؛ نشاط سياسي وشعبي واسع، وأخذت تنبثق فعاليات سياسية وشعبية في كل الميادين.

وكانت اللجنة التنفيذية للمنظمة قد بدأت منذ 1946م بإنشاء جيشها ومكاتب إعلامها وثقافتها وعلاقاتها السياسية ومنظماتها الشعبية ومراكزها للتخطيط والصندوق القومي والتعليم، وما لبثت الفصائل أن اتبعتها في ذلك.

وبدا منذ 1965م حتى 1970م أن المقاومة المسلحة هي محور كل النشاطات، ولكن الأمور بدت تتكشف بعد 1970م على أن هناك برنامج اتصالات سياسية يستهدف الحل السياسي، وأن هذا الخط تم الاتفاق عليه قبل أن يُبْعَد أحمد الشقيري من رئاسة المنظمة ليعهد بها إلى ياسر عرفات(1).

وحين انتقلت قيادة المنظمة إلى ياسر عرفات سنة 1968م؛ اندمجت "فتح" والفصائل بالمنظمة، وصارت المنظمة هي الإطار الأوسع لكل الفصائل.

### إشكاليات فصائل المقاومة المسلحة

انتشرت قواعد المقاتلين بين 1967م و1970م، حول الكيان الصهيوني في الأردن وسوريا ولبنان، وكانت في هذا الوقت تنمو داخل الأرض المحتلة كلها، وخاصة في الضفة الغربية وغزة؛ حتى تحققت سيطرة شبه تامة على غزة خلال 1970م والنصف الأول من 1971م. وكانت هذه القوات المنتسبة لكل الفصائل تتبع "م.ت.ف" اسميًا، إلا أن هذا واجه ثلاث إشكاليات:

**الأولى**- عجز القيادة العليا، سواء اللجنة التنفيذية أم المجلس العسكري الأعلى، عن تحقيق توحيد حقيقي في القيادة والتخطيط والبرامج؛ لعوامل ذاتية تتعلق بالقيادة، ولعوامل موضوعية تتعلق بساحات العمليات والتداخل مع الأنظمة. إلخ، ولكن العامل الرئيسي كان عجز القيادة وقصور تشكيلاتها ومراتبها.

**الثانية** - ميل الفصائل إلى الاستفادة من إمكانيات المنظمة وحمايتها السياسية، والتفرد بالقرار والعمل لاختلاف السياسات ولذاتية القيادات ولقصور الوعي، وعدم الالتزام بأسس العمل العسكري النظامي أو الشعبي.

**الثالثة** - اختلاف هذا الفصيل أو ذاك مع قيادة المنظمة؛ لأن قيادة المنظمة كانت تتبع سياسة محاور؛ ولأن مصالح قيادات الفصائل أو علاقاتها أو خلافاتها السياسية، كانت تدفعها إلى الخروج عن أطر المنظمة.

ولذلك كله عجزت المقاومة المسلحة عن أن تتحد أو تطور قدراتها وتستفيد من الإمكانيات البشرية والمادية الكبيرة التي أُتيحت لها، وظلت أبعد ما تكون عن النظامية سواء من منظور العسكرية التقليدية أم الشعبية، كما ظلت منذ نشأت وحتى الآن، وكأنها نشأت لتوها؛ ولذلك لم تتجاوز العملية البطولية الفردية وعمليات الكمائن المحدودة داخل الأرض المحتلة، أما خارج الأرض المحتلة فإنها لم تتسم بالقدرة على عمليات ميدانية واسعة، وكانت عمليات الدفاع أو الهجوم مجرد حشد قوي دون أية ضوابط للقيادة، ولا تخطيط عسكري، ولا أوامر عمليات، ولا انضباط في حدوده الدنيا، ما عدا الانضباط التطوعي.

وقد حرم هذا كله المقاومة من أن تستثمر قواها استثمارًا أوسع وأقوى وأكثر فعالية ضد العدو، والتحكم بظروف وجودها في الأرض العربية المحيطة بفلسطين، وكان هذا الخلل الذي عرفته المقاومة في بنيتها العسكرية متغلغلاً في كل أجهزتها السياسية والمدنية والشعبية، وفي كل مراتبها من أعلى الهرم القيادي إلى أسفل؛ ولذلك كانت فعاليتها السياسية والنقابية والشعبية محدودة قياسًا بما كانت تستطيع فعله لو كان بنيانها أنقى وأسلم وأكثر تنظيمًا وأكثر ارتباطًا بالقضية.

وأدى ترهل واحتشاء جسم المنظمة بقوى غير نضالية إلى الاتجاه إلى التسوية السياسية الذي كان كامنًا فيها منذ البدء، والذي أخذ ينمو منذ 1968م؛ ليعلن عن نفسه بعد أيلول/سبتمبر 1970م، وليصبح اتجاهًا رئيسيًا بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973م، وليقود المنظمة بعد ذلك.

ورغم ذلك، فإن اتجاه المقاومة المسلحة وإعلان برنامج التحرير؛ استطاع أن يطلق طاقات الشعب داخل فلسطين وخارجها، وقد دفع جماهير من أبناء شعبنا إلى العمل السياسي والشعبي والعسكري، وولد الروح النضالية التي عرفناها في كل المعارك والمواجهات منذ 1965م وحتى الآن، وهذا التيار سيظل متدفقًا رغم اتجاه قيادة "م.ت.ف" إلى إنجاز اتفاق أوسلو وتسليمها بمطالب العدو.

### الأولويات بين السياسة والعمل المسلح

نستطيع أن نرى في هذه المرحلة تطورات واضحة من حيث الأولويات السياسية والعسكرية، فما بين 1965-1970 كان التشديد على المقاومة المسلحة هو الأساس، وكان العمل يستهدف بناء فصائل مقاتلة، ودمج المنظمة بالفصائل، وخلق هياكل سياسية وعسكرية ونقابية تضمن ارتباط الشعب الفلسطيني بقيادته.

ومنذ نهاية 1970م وحتى أوائل 1973م؛ بدأت أطروحات التسوية السياسية - التي كانت محرمة سابقًا- تطفو على السطح وتتغلغل في أجهزة المنظمة والفصائل، وما لبثت أحاديث التسوية أن انطلقت في مشروع الحل المرحلي الذي طرحته الجبهة الديمقراطية بحماية قيادة عرفات.

وشهدت هذه المرحلة بداية ما سمي بـ"التجييش" وبناء الأجهزة الأمنية وضرب الحركة الشعبية التي وجهت لها ضربة قوية أيلول/سبتمبر 1970م.

ومنذ اجتماع المجلس الوطني الثاني عشر في صيف 1974م؛ صار حديث التسوية رسميًا، وبدأ التغلغل الواسع لأطروحات التسوية ورجالها في بنية المنظمة وبعض الفصائل. وما لبث اتجاه التسوية أن أصبح الاتجاه الرئيسي في القيادة سنة 1978-1977، وعبر معارك خاضها رئيس المنظمة استخدم في بعضها السلاح، وجاء الخروج من لبنان سنة 1982م؛ ليكرس دور قيادة المنظمة في عملية التسوية التي أدت إلى أوسلو سنة 1993م.

وكانت المقاومة المسلحة تتضاءل ما بين 1987-1982، بينما كان العمل الدبلوماسي يتحول إلى العمل الرئيسي، وأهملت كل أشكال العمل السياسي والشعبي والنقابي.

وفي هذا الوقت الذي كان فيه خط التنازل يطغى على كل ما عداه، ودوائر المنظمة وأجهزة وبنى الفصائل تترهل؛ برزت ظاهرتان جديدتان: الأولى انفجار الانتفاضة في 1987/12/8م، واندفاع العمل الشعبي في الداخل إلى المقدمة؛ ليجدد شباب المقاومة وكل فعالياتها. الثانية: انتقال حركة المقاومة الإسلامية حماس من التعبئة إلى العمل.

وقد سارعت قيادة المنظمة وقيادات الفصائل إلى إحكام الطوق حول الانتفاضة، وإخضاعها لبرنامج المنظمة الرسمية شيئًا فشيئًا، أما حركة المقاومة الإسلامية فإنها ما تزال مستمرة في عملها السياسي والعسكري؛ لتصبح فصيل المقاومة المسلحة الأول، وليصبح دور الفصائل المؤسسة والمشاركة في قيادة "م.ت.ف" ثانويًا جدًا، ولتبرز إلى جانب "حماس"؛ حركة الجهاد الإسلامي.

# بالقرآن تسعد القلوب وتأنس النفوس

د. عصمت محمود أحمد (*)

تُعنى فلسفة الأخلاق بصورة جوهرية بدراسة مبادئ السلوك الإنساني وغاياته، وتجيء السعادة كواحدة من أهم غايات ذلك السلوك. لهذا تعد قضية السعادة الإنسانية من القضايا التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، وما يزال البحث الفلسفي عن حقيقتها حتى الآن بذات الحيوية التي كانت قبل أزمان عتيقة، ولهذا فإن إشكالية البحث النظري حول السعادة تلج في نطاق طائفة من الإشكالات الفلسفية الحية والمعاشة التي تستمر كذلك حاضرة ومرافقة الوجودَ الإنساني.

لقد ظلت القضية الأخلاقية المتمثلة في تحديد الطريقة الحكيمة والمثلى للسلوك تمثل مرتكزا أساسيا لخطاب القرآن الكريم، فالقارئ المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد البعد الأخلاقي بارزا محتلا موقع الصدارة في التعاليم والآداب الإسلامية، وهذا يفضي بنا ليس إلى تأكيد التناول القرآني للمسألة الأخلاقية فحسب؛ بل إلى تقرير أن نصوص القرآن الكريم قد عمدت في شطرها الغالب إلى معالجة تلك المسألة.

وهذا الأمر كان حاضرا في فكر الإمام أبي حامد الغزالي؛ فهو إذ يحلل في مؤلَّفه القيم: "جواهر القرآن"، نجده يرد جواهر القرآن إلى عنصرين أساسيين، يتصل أحدهما بالمعرفة ويتصل الأخر بالسلوك. وبذلك فإنه يجدر بنا إعمال النظر في القرآن الكريم بحسبانه رسالة أخلاقية، أنزلت على من وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:4)، وهو الموصوف بالخلق العظيم أَبَان عن الهدف المحوري للرسالة المحمدية بقوله ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(رواه مالك).

بيد أن المتأمل في آيات القرآن الكريم يلحظ أن نصوص الوحي القرآني قد خلت من مفردة "السعادة"؛ إذ لم ترد تلك المفردة في آية قرآنية قط؛ بل وردت كلمتا سعيد وسعدوا في موضعين متقاربين من سورة هود في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ × فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوَا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ × خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ × وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(هود:105- 108). ولعل النص القرآني في سياق هذه الآيات لم يكن معنيا في المقام الأول بإبراز رؤية وتصور قرآني حول السعادة؛ بل كانت الإشارة هنا مصوبة نحو بيان مآل العباد في اليوم الآخر ما بين شقي وسعيد.

ومن هنا وعلى خلفية عدم ورود مفردة السعادة في أيّة آية في القرآن الكريم برز سؤال ظل يطرحه عدد ممن تناولوا قضايا فلسفة الأخلاق في الإسلام فتساءلوا حول اشتمال وتضمن القرآن الكريم لرؤية أخلاقية حول السعادة، وتمدد هذا التساؤل حول مساهمة المفكرين المسلمين في الفكر الأخلاقي بصفة عامة.

ويجدر أن نشير هنا إلى أن التعامل مع مثل هذه الأسئلة التي تمس قضايا ذات أبعاد جوهرية في الخطاب القرآني يجب التعامل معها بمزيد من الإقبال على القرآن الكريم تدبرا وتأملا، وبَذْلِ مزيد من الدرس لتلمس المفاهيم والتصورات القرآنية، كما أنه ينبغي ألا نبحث عن رؤية أخلاقية قرآنية وفق مرجعية معيارية تنتمي لنسق أخلاقي آخر، خاصة إذا كان هذا الآخر مباينا في منطلقاته ومرتكزاته للرؤية القرآنية حول الكون والوجود الإنساني، مثلما فعل رواد الفلسفة الإسلامية في انسياقهم خلف النموذج الأفلاطوني والأرسطي، وهما يصدرون في تصوراتهم الأخلاقية عن رؤية كلية تجاه الوجود والإنسان مفارقة لما عليه الرؤية القرآنية، وهذا ما حال بين أولئك الفلاسفة وبين الانتهاء إلى نسق قرآني متكامل صادر عن الآيات القرآنية ومتوافق معها.

وفق هذا السياق فإن الأوفق عند تناول قضايا الأخلاق القرآنية التنبه إلى أن الرؤية القرآنية تنطوي على نسق أخلاقي متكامل؛ يتسم بالثبات ويرتكز على ركائز وكليات نابعة من تصور كلي للوجود والإنسان يتسم بالصفاء والنقاء.

**من ركائز التصور الإسلامي التي يقررها القرآن الكريم بجلاء تام عبر طائفة من الايات نفيُ عبثية الوجود الإنساني، وهذا ما يتواتر في أكثر من موضعٍ في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾(المؤمنون:115).**

## كليات التصور القرآني للوجود والإنسان

كما سبق الإشارة إليه فإن فلسفة الأخلاق عبر مدارسها وتياراتها المختلفة تبحث في مبادئ السلوك الإنساني وغاياته، فإن ذلك يعني بالضرورة أن تغدو قضية السعادة محورا هاما في التفكير الأخلاقي باعتبارها تلج في نطاق غايات السلوك؛ ومن هنا فلا مجال لاستبعاد تصور قرآني أخلاقي حول السعادة الإنسانية؛ بيد أن المفهوم القرآني للسعادة يستند كما أشرنا في المقام الأول على نقاء وصفاء كليات الرؤية الإسلامية للوجود والإنسان. ويمكن الإشارة إلى هذه الكليات على النحو التالي:

**أ- التوحيد حقيقة الوجود :**

أولى تلك الكليات التي تجيء كركائز للتصور القرآني ماثلة في إثبات وجود الله جل شأنه، الخالقِ المتفرد بالخلق والإنشاء والتقدير، المتصرف في مقادير السموات والأرض بسطا وقبضا، وإثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال والجلال.

**ب- الخلافة غاية الوجود الإنساني :**

من ركائز التصور الإسلامي التي يقررها القرآن الكريم بجلاء تام عبر طائفة من الآيات نفيُ عبثية الوجود الإنساني، وهذا ما يتواتر في أكثر من موضعٍ في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾(المؤمنون:115). ونفيُ العبثية عن الوجود الإنساني يستلزم الإبانة عن غايةِ ودورِ ووظيفة الوجود الإنساني؛ وهذا ما تجيء الإشارة إليه في ثنايا الحوار العُلوي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:30)، ومن ثَم فإن هذا المبدأ القرآني -مبدأ الخلافة- يجعل للإنسان وظيفةً ودوراً وتكليفا، وللوجود الإنساني غاية ومطلبا، وهذا الدور يمثل الهدف الأساس للوجود الإنساني، وهو الذي أعطى ذلك الوجود صفة مائزة عن سائر المخلوقات، وبمقتضى هذا التكليف يتنسم الإنسان وظيفةً ومسؤولية كونية ذات أهمية وجودية هائلة.

**لقد انشغل المفكرون منذ القدم بالبحث في ماهية السعادة؛ فقدموا أطروحات متباينة، ونريد أن نشير إلى أن الرؤية القرآنية للسعادة تتمحور حول مفهومي الطمأنينة والفلاح، مع نظرة خاصة لمفهوم الطمأنينة باعتبار أن الوصول إلى طمأنينة القلب تمثل جوهر السعادة القرآنية ومنتهى السير الإنساني في سبيله المتسامي نحو الله عز وجل.**

**جـ-البعث والجزاء الأخروي :**

بطبيعة الحال فإن التكليف والمسؤولية يقتضيان الحساب والجزاء، ومن هنا فإن حقيقة البعث والحساب الأخروي تمثل ركيزة هامة من ركائز التصور القرآني. وحقيقةُ البعث والجزاء ذات أثر مباشر في تشكيل منظومة الفكر الأخلاقي الإسلامي، فالإيمان بالبعث والنشور والجزاء كلية هامة وأساسية، "وما تستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرفيع ما لم تتحقق هذه الكلية﴾(أي الحساب والجزاء) في تصور البشر، وما لم تطمئن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير، وما لم يثق الفرد المحدود العمر بأن له حياة أخرى يستحق أن يجاهد لها".

**د- المسؤولية الفردية تجاه الحساب والجزاء :**

يتصل بمبدأ البعث والجزاء الأخروي حقيقةُ فردية ذلك الحساب والجزاء ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى × وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى × وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى × ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾(النجم: 38- 41)،

وهذه الحقيقة ذات صلة وثيقة وانعكاسٍ مباشر على صعيد الشعور الأخلاقي لدى الفرد، عندما يوقن أنه مجزيّ بعمله ولا يستطيع الفكاك من كسب نفسه، فيعمل على محاسبتها والتخلي عن كل أمل يخادع في أن يناله آخر -مهما كان- بنفع أو يحمل عنه تبعة. إن الله عز وجل لا يحاسب الناس جملة بالقائمة، إنما يحاسبهم فردا فردا؛ كلٌ في حدود واجباته ومسؤولياته.

وعند إعمال النظر في تلك الركائز التي يقوم عليها التصور القرآني في مجالي الدنيا والآخرة نجد أن الفكرة القرآنية تخلص بنا إلى نتيجة هامة وهي أن الإنسان يمثل الكائن الوجودي الأوحد الذي جُعِلَ في مركز الحياتين: الدنيا المحدودة الفانية، والآخرة الممتدة الباقية.

## بين مفهومي الفلاح والطمأنينة

لقد انشغل المفكرون منذ القدم بالبحث في ماهية السعادة؛ فقدموا أطروحات متباينة، ونريد أن نشير إلى أن الرؤية القرآنية للسعادة تتمحور حول مفهومي الطمأنينة والفلاح، مع نظرة خاصة لمفهوم الطمأنينة باعتبار أن الوصول إلى طمأنينة القلب تمثل جوهر السعادة القرآنية ومنتهى السير الإنساني في سبيله المتسامي نحو الله عز وجل.

هكذا فإن هذين المفهومين -أعني الطمأنينة والفلاح- يُراد لهما أن يحلا محل سائر المفاهيم التي طرحها الفلاسفة من لذة ومنفعة وواجب وغير ذلك. وقبل أن نجيء على تناول هذين المفهومين فثمة أهمية تدعونا للإشارة إلى قضية أساسية في البناء الأخلاقي القرآني وهي مسألة وحدة السعادة الإنسانية:

## وحدة السعادة الإنسانية

تتواتر آيات القرآن الكريم نحو تأكيد الطبيعة الغائية للوجود؛ فهي تنفي في غير ما موضع أن يكون هذا الوجود جاء حدوثه صدفة عارضة، أو عبثاً بغير قصد ولغير غاية، بل على النقيض من ذلك تشير إلى أن الله تعالى أوجد الوجود في أحسنِ وأكمل هيئة وصورة ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(السجدة:7)، وهو عز وجل من بعدِ إحسان الخلق لم يترك الوجود هملاً، إنما يتعهده بالرعاية

# شعيرة الأذان

ذ. أحمد حُسني -وجدة

الأذان للصلاة مفتاح الخير كله، مغلاق للشر كله، إنه دعوة إلى الدخول في رحاب الله، والإيمان به عقيدة وعملا، والاتصال به ذكرا وشعورا، والانقياد له إخلاصا لجلاله، وتحررا من المادية. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(الجمعة : 9).

وإذا كانت هذه الآية الكريمة خاصة بالنداء للصلاة من يوم الجمعة، فإن هناك آية كريمة أخرى تشمل النداء للصلاة في كل أوقات الصلاة. قال تعالى : ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾(النور : 36).

والأذان معناه الإعلام بدخول وقت الصلاة المفروضة بألفاظ مخصوصة، وهو يشتمل على مسائل العقيدة والعبادة معا، وقد ورد لفظ الأذان والمؤذن في القرآن الكريم. قال تعالى : ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُهُ﴾(التوبة : 3).

وقال تعالى : ﴿ثم أذّن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾(يوسف : 70).

وقال تعالى : وأذّن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر﴾(الحج : 25).

إن الأذان يصب في قلب المؤمن جميع مشاعر الولاء لله تعالى، إنه يربط أولياء الله ربطا وثيقا، ويشدهم إلى الحق عز وجل. إنه يدعو المسلمين إلى أن يكون الدين كله لله، إنه يغرس في نفوسهم أن لله أكبر من كل كبير فهم لا يخشون أحدا إلا الله. إن الأذان مناشدة من المخلوق لخالقه أن يعينه على أداء الصلاة التي هي عماد الدين، وصلة بين العبد وربه.

إن الأذان تذكير غير مقطوع بالله، وبأن سيدنا محمدا ﷺ الصادق الأمين، قد بلغ ما أنزل إليه من ربه، فقد أدى الأمانة، ونصح الأمة، وأقامها على المحجة البيضاء، وطهرها من رجز الشرك وعبادة الأوثان، وبذلك وصفت الأمة الإسلامية بخير أمة أخرجت للناس، ما دامت تتأسى به.

الأذان طريق إلى الفلاح الذي هو خصيصة المؤمنين الذين أثنى عليهم ربهم في قوله : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾(المؤمنون : ١- ٢). هذا الأذان الذي تتردد أصداؤه في مختلف جوانب الأرض كل يوم خمس مرات في أوقات مختلفة، فيشد المؤمنين إلى بعضهم ويمنحهم طاقات كبيرة من الترابط والتعارف وعدم التمايز الذي هو سبيل تعاونهم، لأنه لا تعاون بغير ارتباط وتعارف، ولا تكاتف وتكافل إلا بنبذ التمايز. هذا الأذان كيف تمت مشروعيته في الاسلام؟ لقد اخْتُلف في أي وقت كان ابتداء مشروعية الأذان. فقيل نزل على رسول الله ﷺ مع فرض الصلاة في حادثة الإسراء والمعراج حيث علمه جبريل عليه السلام ألفاظ الأذان، كما علمه كيفية أداء الصلوات الخمس في أوقاتها، وقيل غير ذلك كما سيأتي بيانه :

كان الناس في عهد رسول الله ﷺ، قبل مشروعية الأذان، ينادي منادي الرسول ﷺ : الصلاة جامعة، فيجتمع الناس، فلما تحولت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بمكة، أمر بالأذان، وكان رسول الله ﷺ قد أهمه أمر الأذان، فذكر الصحابة أشياء ليجمعوا بها الناس للصلاة، فقال بعضهم : نستعمل البوق، وقال بعضهم نستعمل الناقوس، وقال آخرون بنصب راية أو إشعال نار عند حضور وقت الصلاة، فانصرف عبد الله بن زيد الخزرجي الأنصاري وهو مهتم لهَم رسول الله ﷺ، فرأى في منامه رجلاً عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس، فقلت : يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال : وما تصنع به؟ فقلت : ندعو به إلى الصلاة، قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت : بلى. قال : تقول : الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته بما رأيت : فقال : «إنها لرؤيا حق إن شاء الله" فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى منك صوتا»(أحمد).

قال : فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد رأى مثل ما رأيت فكتمه، ثم أخبر الرسول ﷺ، فقال له : ما منعك أن تخبرني؟ فقال : سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت.

وبعد أن اتخذ الأذان طريقة إلى واقع المؤمنين عند دخول وقت الصلاة المفروضة، بقي يُنادى في الناس : الصلاة جامعة لأمر هام حدث، فيحضرون وإن كان في غير وقت الصلاة.

قال رسول الله ﷺ : «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»(البخاري).

وذلك مستحب إلا في الحيعلتين وهما حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله. ويشرع للمؤذن التثويب، وهو أن يقول في أذان صلاة الصبح بعد حي على الفلاح : الصلاة خير من النوم، قال أبو محذورة : يا رسول الله علمني سنة الآذان، فعلمه، وقال : «فإن كان صلاة الصبح قلتَ : الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله»(أبو داود).

ورد في فضل الأذان والمؤذنين أحاديث كثيرة منها : قوله ﷺ : «لو يعلم الناسُ ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»(مالك). وقال ﷺ : «إن المؤذنين أطول الناس أعناقا يوم القيامة»(أحمد). وقال ﷺ : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة»(البخاري).

إن شعيرة الأذان، إعلام متميز في الأمة المسلمة لا نظير له في أي مكان على وجه الأرض، فهو دليل على تمسك المسلمين بشعائر دينهم، وبه يُعرف المجتمع المسلم ومدى حرصه على مبادئ دينه الحنيف.

---

والتربية وبهذا يلهج المسلم بالمناجاة في كل وقت: ﴿ اَلْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الفاتحة:2). فالرب مشتقّ من التربية، وهو المالك المتصرف للإصلاح، ومن هنا كانت ربوبيته مطلقة شاملة كاملة لا تغيب عن الوجود لحظة. فالصلة بين الخالق والخلائق دائمة وممتدة في كل وقت وحال، فالوجود جميعه يتجه إلى رب واحد، له السيادة المطلقة عليه، وهو يتعهده بالرعاية الدائمة غير المنقطعة.

ونسير في رحاب هذا المعنى الشفيف لنجد أن التصور القرآني يؤكد أن ثمة هداية ربانية عامة وشاملة لكل الخلائق تقودها وتسوقها سوقا رفيقا نحو كمالاتها وغاياتها وسعادتها. وهو ما نقرأه في طائفة من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:50)، وقوله تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى × الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى × وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾(الأعلى:1- 3)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر:49)، فهذه الآيات تشير إلى أن المولى عز وجل قد أوجد الخلائق على مقادير مخصوصة وحدود معينة في ذواتها وصفاتها وأفعالها وغاياتها، وأوفاها حقها بما يناسب ما قدر لها، فهي محاطة في مسيرها نحو ما قدره الله لها بهداية ربانية تكوينية، وهكذا فإن الإنسان هو كائن قد وهبه الله بَعد استواء وتمام خلقه هدايةً ربانية يهتدي بها صوب مقاصد وجوده وكمالات ذاته أي سعادته.

ولما كانت هذه الهداية الربانية على المستوى الإنساني تُرسِّخ لمفهوم "وحدة السعادة الإنسانية"؛ فإننا نجد مظاهر تلك الهداية ماثلة ومشاهَدة في طائفة من السنن العامة المركوزة في مسيرة الجنس الإنساني. ولهذا نجد أن آيات القرآن الكريم تتخذ من هذه السنن أدلةً تقود إلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل، وهذا الاستدلال يضفي على هذه السنن صفة الاستمرارية والرسوخ، وإلا لبطل وجه الاستدلال ﴿وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ × وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ × وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ × وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(الروم:20- 23).

فهذه الآيات تشير إلى أن هناك هداية فطرية ظاهرة في خلق الإنسان وتكوينه، وفي خلق قواه الفعالة التي تقوده إلى السعي والانتشار في طلب الرزق، وفي إيجاده على زوجين بحيث جهز كلا منهما ليتمم الآخر، وفي أن أودع الرحمة والمودة والحب بين هذين الزوجين ليسكن كل منهما إلى الآخر؛ فتنتقل هذه الرحمة والمودة إلى من يليهما من أطفال وضعفاء ومساكين. وكل ما ذكر هنا يدل على أن ثمة هداية تكوينية فطرية عامة تهدي الإنسان إلى ما يحقق غايةَ ومقصد وجوده أي سعادته.

## مفهوم الفلاح

يذهب فلاسفة المسلمين ومتكلموهم إلى أن النفس الإنسانية لها قوتان: أولاها: القوة النظرية، وكمالها في المعرفة، وأعز تلك المعرفة وأشرفها معرفة المولى عز وجل. والثانية: هي القوة العملية، وكمالها في فعل الخيرات والطاعات وخدمة المولى عز وجل.

ترد كلمة الفلاح بمشتقاتها المتباينة في عدد من نصوص القرآن الكريم موصولة ومتعلقة، أي في سياق سلوك إنساني يقع في دائرة الأخلاق العملية، وبما يتضمن الأفعال الإرادية المحمودة كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ × الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ × وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(المؤمنون: 1- 3). وهكذا إذا تتبعنا الآيات نجدها قد خصت الفلاح والفوز لمن اتصفت أخلاقه العملية بهذه الطائفة من الآداب القرآنية، وكذلك في قوله تعالى ﴿لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:130)، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(البقرة:189). وبصفة عامة فإن صفة الفلاح تجيء في القرآن موصولة بهذه الأخلاق العملية سعيا للسمو بالسلوك الإنساني.

## مفهوم الطمأنينة

الطمأنينة تعني السكون والاستقرار؛ فقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾(الإسراء:95) أي مستقرين. وتستعمل في سكون القلب، فالقلب المطمئن ساكن بإيمانه بالله عز وجل، يجري على قرار من النفس وسكون من الفكر. ولقد أخبر القرآن الكريم عن مقام النفس المطمئنة، وهي التي أشار إلى كونها تمثل غاية سمو النفس الشريفة في مسيرها وقصدها نحو الله عز وجل ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ × ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً × فَادْخُلِي فِي عِبَادِي × وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(الفجر:27- 30)، وهذا التسامي والترقي يجيء في منحى كمالات قوى النفس النظرية التي هي غاية كمالها ورقيها على صعيد المعرفة. وأعزُّ تلك المعارف -كما أشرنا- وأشرفها معرفة الحق عز وجل، وهي المعرفة الربانية أو اللدنية كما يسميها الإمام أبو حامد الغزالي، التي تبدأ من حيث ملاحظة عجائب آثار الحق عز وجل لتقود إلى نقاء وصفاء تصورات النفس الكلية تجاه الوجود والحياة، ومن ثم الترقي في مدارج المعرفة سموا لبلوغ كمالات قوى النفس النظرية. ونلمح هذا المعنى في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(البقرة:260). فالإيمان الصادق يحرك أشواق الروح وتطلعاته لمعاينة أسرار القدرة الإلهية؛ مما يحيل الإيمان لتجربة شخصية ذاتية مباشرة يحياها الوجدان ويفيض الحس ويطمئن بها القلب، فلا تتم للنفس الإنسانية سكون أو اطمئنان إلا في ظل الإيمان الراسخ بالله والرقي إلى مقام المعرفة الربانية الحقة، ويؤدي هذا المقام بالمؤمن إلى تقوية الإحساس بالله والأنس بجواره، وهذا هو غايةُ ومقصد المعرفة الربانية، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:28).

---

(×) جامعة الخرطوم، قسم الفلسفة / السودان.

# شعيرة الأذان

ذ. أحمد حُسني -وجدة

الأذان للصلاة مفتاح الخير كله، مغلاق للشر كله، إنه دعوة إلى الدخول في رحاب الله، والإيمان به عقيدة وعملا، والاتصال به ذكرا وشعورا، والانقياد له إخلاصا لجلاله، وتحررا من المادية. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(الجمعة : 9).

وإذا كانت هذه الآية الكريمة خاصة بالنداء للصلاة من يوم الجمعة، فإن هناك آية كريمة أخرى تشمل النداء للصلاة في كل أوقات الصلاة. قال تعالى : ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾(النور : 36).

والأذان معناه الإعلام بدخول وقت الصلاة المفروضة بألفاظ مخصوصة، وهو يشتمل على مسائل العقيدة والعبادة معا، وقد ورد لفظ الأذان والمؤذن في القرآن الكريم. قال تعالى : ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُهُ﴾(التوبة : 3).

وقال تعالى : ﴿ثم أذّن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾(يوسف : 70).

وقال تعالى : وأذّن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر﴾(الحج : 25).

إن الأذان يصب في قلب المؤمن جميع مشاعر الولاء لله تعالى، إنه يربط أولياء الله ربطا وثيقا، ويشدهم إلى الحق عز وجل. إنه يدعو المسلمين إلى أن يكون الدين كله لله، إنه يغرس في نفوسهم أن لله أكبر من كل كبير فهم لا يخشون أحدا إلا الله. إن الأذان مناشدة من المخلوق لخالقه أن يعينه على أداء الصلاة التي هي عماد الدين، وصلة بين العبد وربه.

إن الأذان تذكير غير مقطوع بالله، وبأن سيدنا محمدا ﷺ الصادق الأمين، قد بلغ ما أنزل إليه من ربه، فقد أدى الأمانة، ونصح الأمة، وأقامها على المحجة البيضاء، وطهرها من رجز الشرك وعبادة الأوثان، وبذلك وصفت الأمة الإسلامية بخير أمة أخرجت للناس، ما دامت تتأسى به.

الأذان طريق إلى الفلاح الذي هو خصيصة المؤمنين الذين أثنى عليهم ربهم في قوله : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾(المؤمنون : ١- ٢). هذا الأذان الذي تتردد أصداؤه في مختلف جوانب الأرض كل يوم خمس مرات في أوقات مختلفة، فيشد المؤمنين إلى بعضهم ويمنحهم طاقات كبيرة من الترابط والتعارف وعدم التمايز الذي هو سبيل تعاونهم، لأنه لا تعاون بغير ارتباط وتعارف، ولا تكاتف وتكافل إلا بنبذ التمايز. هذا الأذان كيف تمت مشروعيته في الاسلام؟ لقد اخْتُلف في أي وقت كان ابتداء مشروعية الأذان. فقيل نزل على رسول الله ﷺ مع فرض الصلاة في حادثة الإسراء والمعراج حيث علمه جبريل عليه السلام ألفاظ الأذان، كما علمه كيفية أداء الصلوات الخمس في أوقاتها، وقيل غير ذلك كما سيأتي بيانه :

كان الناس في عهد رسول الله ﷺ، قبل مشروعية الأذان، ينادي منادي الرسول ﷺ : الصلاة جامعة، فيجتمع الناس، فلما تحولت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بمكة، أمر بالأذان، وكان رسول الله ﷺ قد أهمه أمر الأذان، فذكر الصحابة أشياء ليجمعوا بها الناس للصلاة، فقال بعضهم : نستعمل البوق، وقال بعضهم نستعمل الناقوس، وقال آخرون بنصب راية أو إشعال نار عند حضور وقت الصلاة، فانصرف عبد الله بن زيد الخزرجي الأنصاري وهو مهتم لِهَم رسول الله ﷺ، فرأى في منامه رجلاً عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس، فقلت : يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال : وما تصنع به؟ فقلت : ندعو به إلى الصلاة، قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت : بلى. قال : تقول : الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته بما رأيت : فقال : «إنها لرؤيا حق إن شاء الله" فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى منك صوتا»(أحمد).

قال : فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد رأى مثل ما رأيت فكتمه، ثم أخبر الرسول ﷺ، فقال له : ما منعك أن تخبرني؟ فقال : سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت.

وبعد أن اتخذ الأذان طريقة إلى واقع المؤمنين عند دخول وقت الصلاة المفروضة، بقي يُنادى في الناس : الصلاة جامعة لأمر هام حدث، فيحضرون وإن كان في غير وقت الصلاة.

قال رسول الله ﷺ : «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»(البخاري).

وذلك مستحب إلا في الحيعلتين وهما حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله. ويشرع للمؤذن التثويب، وهو أن يقول في أذان صلاة الصبح بعد حي على الفلاح : الصلاة خير من النوم، قال أبو محذورة : يا رسول الله علمني سنة الآذان، فعلمه، وقال : «فإن كان صلاة الصبح قلتَ : الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله»(أبو داود).

ورد في فضل الأذان والمؤذنين أحاديث كثيرة منها : قوله ﷺ : «لو يعلم الناسُ ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»(مالك). وقال ﷺ : «إن المؤذنين أطول الناس أعناقا يوم القيامة»(أحمد). وقال ﷺ : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة»(البخاري).

إن شعيرة الأذان، إعلام متميز في الأمة المسلمة لا نظير له في أي مكان على وجه الأرض، فهو دليل على تمسك المسلمين بشعائر دينهم، وبه يُعرف المجتمع المسلم ومدى حرصه على مبادئ دينه الحنيف.

---

والتربية وبهذا يلهج المسلم بالمناجاة في كل وقت: ﴿ اَلْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الفاتحة:2). فالرب مشتقّ من التربية، وهو المالك المتصرف للإصلاح، ومن هنا كانت ربوبيته مطلقة شاملة كاملة لا تغيب عن الوجود لحظة. فالصلة بين الخالق والخلائق دائمة وممتدة في كل وقت وحال، فالوجود جميعه يتجه إلى رب واحد، له السيادة المطلقة عليه، وهو يتعهده بالرعاية الدائمة غير المنقطعة.

ونسير في رحاب هذا المعنى الشفيف لنجد أن التصور القرآني يؤكد أن ثمة هداية ربانية عامة وشاملة لكل الخلائق تقودها وتسوقها سوقا رفيقا نحو كمالاتها وغاياتها وسعادتها. وهو ما نقرأه في طائفة من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:50)، وقوله تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى × الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى × وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾(الأعلى:1- 3)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر:49)، فهذه الآيات تشير إلى أن المولى عز وجل قد أوجد الخلائق على مقادير مخصوصة وحدود معينة في ذواتها وصفاتها وأفعالها وغاياتها، وأوفاها حقها بما يناسب ما قدر لها، فهي محاطة في مسيرها نحو ما قدره الله لها بهداية ربانية تكوينية، وهكذا فإن الإنسان هو كائن قد وهبه الله بَعد استواء وتمام خلقه هدايةً ربانية يهتدي بها صوب مقاصد وجوده وكمالات ذاته أي سعادته.

ولما كانت هذه الهداية الربانية على المستوى الإنساني تُرسِّخ لمفهوم "وحدة السعادة الإنسانية"؛ فإننا نجد مظاهر تلك الهداية ماثلة ومشاهَدة في طائفة من السنن العامة المركوزة في مسيرة الجنس الإنساني. ولهذا نجد أن آيات القرآن الكريم تتخذ من هذه السنن أدلةً تقود إلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل، وهذا الاستدلال يضفي على هذه السنن صفة الاستمرارية والرسوخ، وإلا لبطل وجه الاستدلال ﴿وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ × وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ × وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ × وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(الروم:20- 23).

فهذه الآيات تشير إلى أن هناك هداية فطرية ظاهرة في خلق الإنسان وتكوينه، وفي خلق قواه الفعالة التي تقوده إلى السعي والانتشار في طلب الرزق، وفي إيجاده على زوجين بحيث جهز كلا منهما ليتمم الآخر، وفي أن أودع الرحمة والمودة والحب بين هذين الزوجين ليسكن كل منهما إلى الآخر؛ فتنتقل هذه الرحمة والمودة إلى من يليهما من أطفال وضعفاء ومساكين. وكل ما ذكر هنا يدل على أن ثمة هداية تكوينية فطرية عامة تهدي الإنسان إلى ما يحقق غايةَ ومقصد وجوده أي سعادته.

## مفهوم الفلاح

يذهب فلاسفة المسلمين ومتكلموهم إلى أن النفس الإنسانية لها قوتان: أولاها: القوة النظرية، وكمالها في المعرفة، وأعز تلك المعرفة وأشرفها معرفة المولى عز وجل. والثانية: هي القوة العملية، وكمالها في فعل الخيرات والطاعات وخدمة المولى عز وجل.

ترد كلمة الفلاح بمشتقاتها المتباينة في عدد من نصوص القرآن الكريم موصولة ومتعلقة، أي في سياق سلوك إنساني يقع في دائرة الأخلاق العملية، وبما يتضمن الأفعال الإرادية المحمودة كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ × الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ × وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(المؤمنون: 1- 3). وهكذا إذا تتبعنا الآيات نجدها قد خصت الفلاح والفوز لمن اتصفت أخلاقه العملية بهذه الطائفة من الآداب القرآنية، وكذلك في قوله تعالى ﴿لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:130)، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(البقرة:189). وبصفة عامة فإن صفة الفلاح تجيء في القرآن موصولة بهذه الأخلاق العملية سعيا للسمو بالسلوك الإنساني.

## مفهوم الطمأنينة

الطمأنينة تعني السكون والاستقرار؛ فقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾(الإسراء:95) أي مستقرين. وتستعمل في سكون القلب، فالقلب المطمئن ساكن بإيمانه بالله عز وجل، يجري على قرار من النفس وسكون من الفكر. ولقد أخبر القرآن الكريم عن مقام النفس المطمئنة، وهي التي أشار إلى كونها تمثل غاية سمو النفس الشريفة في مسيرها وقصدها نحو الله عز وجل ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ × ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً × فَادْخُلِي فِي عِبَادِي × وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(الفجر:27- 30)، وهذا التسامي والترقي يجيء في منحى كمالات قوى النفس النظرية التي هي غاية كمالها ورقيها على صعيد المعرفة. وأعزُّ تلك المعارف -كما أشرنا- وأشرفها معرفة الحق عز وجل، وهي المعرفة الربانية أو اللدنية كما يسميها الإمام أبو حامد الغزالي، التي تبدأ من حيث ملاحظة عجائب آثار الحق عز وجل لتقود إلى نقاء وصفاء تصورات النفس الكلية تجاه الوجود والحياة، ومن ثم الترقي في مدارج المعرفة سموا لبلوغ كمالات قوى النفس النظرية. ونلمح هذا المعنى في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(البقرة:260). فالإيمان الصادق يحرك أشواق الروح وتطلعاته لمعاينة أسرار القدرة الإلهية؛ مما يحيل الإيمان لتجربة شخصية ذاتية مباشرة يحياها الوجدان ويفيض الحس ويطمئن بها القلب، فلا تتم للنفس الإنسانية سكون أو اطمئنان إلا في ظل الإيمان الراسخ بالله والرقي إلى مقام المعرفة الربانية الحقة، ويؤدي هذا المقام بالمؤمن إلى تقوية الإحساس بالله والأنس بجواره، وهذا هو غايةُ ومقصد المعرفة الربانية، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:28).

---

(×) جامعة الخرطوم، قسم الفلسفة / السودان.

## (السادس والعشرين من أبريل) اليوم العالمي للملكية الفكرية

# الجريدة الإسلامية بين ملكية المفكر وحرية الباحث

لعل أبرز ما يشد انتباه القارئ أثناء تصفحه لأحد البحوث أو الدراسات الفكرية : الغياب الشبه التام في هوامش ومراجع ذلك البحث و الدراسة الإشارة إلى الجرائد أو الصحف المستفاد منها أو التي كانت مصدرا من مصادر البحث. ولعل السبب في ذلك يعود في نظري البسيط إلى :

- عدم مراعاة الملكية الفكرية والأمانة العلمية للجريدة، وأخذ ما طاب ثمره وقل ثمنه دون إرجاع كلمة لصاحبها أو فكرة لمصدرها.
- عدم اهتمام الباحثين بالجريدة ومواضيعها :ويكون لسببين :

ذ. امحمد رحماني

أ- القول بأن للجريدة غرض تجاري ترجوا تحقيقه من مختلف الأعداد المنشورة وبذلك تكون المواضيع اللافتة لانتباه الجماهير ذات أولوية خاصة وأسبقية في النشر على الصفحات الأولى، فتكون المواضيع المنشورة تستهدف الربح ولا تستهدف الفكر، ولذلك لا يلتفت إليها من الجانب العلمي والفكري، وتبقى وسيلة من وسائل الترفيه لا من وسائل التعليم.

ب- القول بأن الجريدة لم يكن لها أي صلة بالعلم إذ أن اختصاصها الأول هو نشر الأخبار -صائبة أو مغلوطة- وتغطية الحوادث والوقائع، فهي بذلك أبعد من مناقشة الأفكار والأطروحات والنظريات العلمية، فتكون الجريدة إخبارية تراعي ضخامة الحدث أكثر منها علمية تراعي صدقية البحث وأثره.

عند هذا الحد يطرح القارئ تساؤله :

هل انعدمت البحوث القيمة والدراسات الفكرية المفيدة فيكون سببا لعدم تناول الجريدة لها؟ الأمر الذي دفع الباحثين لعدم الاهتمام بها؟ أم أن الجريدة هي أبعد ما تكون عن الفكر والعلم كما يقولون؟

لاشك أن هذا التساؤل يدفعنا بشكل كبير إلى التكلم ولو بشيء يسير عن بدايات الصحافة وخصوصا الإسلامية، لما هو ملاحظ من تجليات الواقع أن جميع ما يطرح من الأفكار والنظريات والدراسات تتناوله الصحافة الإسلامية بالخصوص دون نظيرتها العربية أو الحزبية أو غيرها من الأشكال المختلفة المختصة في ألوان المساحيق وجديد الموضات.

لقد تم وصف الصحافة أو الجريدة بالإسلامية لتميزها عن غيرها بدراسة شؤون المسلمين وقضاياهم سواء الاجتماعية أو الفكرية أو السياسية أو الاقتصادية، إذ اختصاصها كل ما له صلة بالإنسان المسلم سواء من قريب أو من بعيد.

إن أبرز الصحف الإسلامية التي شهدت اهتماما خاصا من لدن المفكرين في السنين السابقة من يوميات أو أسبوعيات أو شهريات على سبيل المثال لا الحصر :

- "ثمرات الفنون" التي عاشت فترة طويلة في لبنان (1885 - 1908).
- "المؤيد" الصحيفة اليومية المصرية التي صدرت سنة (01- 12- 1889)
- "الاعتصام" لأحمد عيسى عاشور سنة (1929).
- "اللواء" سنة (02-01-1900)
- "المنار" المصرية (1898) والتي أدخلت أسلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين إلى الصحافة الإسلامية.
- "الحياة" (1899) ولم تلبث أن توقفت بينما استمرت المنار حتى توفي صاحبها رشيد رضا سنة (1935).
- "العروة الوثقى" التي أصدرها الأفغاني ومحمد عبده في باريس (1884) والتي لم يصدر منها إلا (16) عددا ثم توقفت.
- "الهداية" للشيخ عبد العزيز جاويش وقد عنيت بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه.
- "مجلة الأزهر" لحسن رفقي وإبراهيم مصطفى (1889) وهي المجلة التي استأجرها وليم ولكوكس فيما بعد لنشر دعوته إلى العامية.
- "مجلة الإسلام" وهي أقدم مجلة إسلامية تحمل اسم الإسلام إذ بدأت سنة (1894) وتوقفت سنة (1914) ولم يسبقها إلا مجلة الأزهر.
- "الهدي النبوي" و"الإصلاح" لمحمد حامد الفقي (1937).
- "دعوة الحق" المغربية.

**إن الجرائد لها من الفضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب أو قلم شاعر إذ هي مصباح النهى ورائد الأمة ومرآة ذوي الأمور، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون إلى حجة الصواب بلا معاناة سفرٍ أو معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت أُسسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهي السبب الأكبر الذي نهض بالغربيين إلى هذا الحد الذي نراه حين اعتاضوا بحرب الأقلام عن حرب المدافع واستغنوا بالطروس عن الديناميت وبالحبر عن النوربين**

وغيرها كثير.

من خلال هذه النظرة السريعة يظهر أن الجريدة لم تكن غائبة عن الإنسان المسلم ومعايشة قضاياه بل كانت حاضرة معه بكل أطياف اللون وأنواع الخط، منذ أن كانت أوروبا تسمي الحصان "وحشا"، ولها فضل كبير في فهم ومناقشة قضايا مصيرية، يقول أحمد علي الشاذلي : (إن الجرائد لها من الفضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب أو قلم شاعر إذ هي مصباح النهى ورائد الأمة ومرآة ذوي الأمور، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون إلى حجة الصواب بلا معاناة سفرٍ أو معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت أُسسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهي السبب الأكبر الذي نهض بالغربيين إلى هذا الحد الذي نراه حين اعتاضوا بحرب الأقلام عن حرب المدافع واستغنوا بالطروس عن الديناميت وبالحبر عن النوربين)(1).

لقد كان من أبرز ما تؤكد عليه الجريدة الإسلامية في أعدادها طيلة سنوات صدورها إلى اليوم :

- إقامة أقوى الأدلة العلمية على أن الديانة الإسلامية هي روح العمران وقوام سعادة الإنسان بطرق لا تجعل للشكوك مجالا في الأذهان مستغلة في ذلك ما يخرج من الدراسات الفكرية والطبية والنفسية والعلمية والفلكية والاجتماعية وغيرها.
- تثبيت الأصول الدينية في العقول الطامحة من نشر بحوث تخص العقيدة والفكر والسلوك.
- مناقشة كل ما يطفو على السطح الإسلامي وإزالة ما يدعو إلى الشك بالبرهان والحجة والدليل.

وبذلك فقد كانت الجريدة هي أول من تصدى لمكر المستشرقين ودافع عن حمى الدين دفاعا مستميتا أقوى وأعتى من دفاع الدبابات والرشاشات حتى أصبحت كل نفس مسلمة تكن الشكر والمحبة العظيمة للجريدة الإسلامية أينما وجدت وإن كانت فتية، فقد كانت جدتها عتيّة على محاربي الأمة والإسلام.

يقول الأستاذ فريد وجدي : (إن مقصد المجلة هو الحيلولة بين مكاريت الإلحاد وأذهان أبناء المشرق، وإننا وإن كنا لا نود فائدة مادية من هذه المجلة إلا أننا لا نود أيضا أن نخسر فيها كثيرا، وإننا لم نتشجع على تحمل هذه الخسائر المادية إلا لما نعلمه من شغف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه، وقد اعتضدنا في سائر أبحاثنا ببراهين الفلسفة الغربية واستخدمنا نتائج أفكار قادتها وثمرات كدهم وكدحهم في تأييد أصولنا الإسلامية مراعاة لمطلوب العصر الحاضر ومجاراة للأميال العامة رأينا أن اندفاق مدنية الغرب على الشرق ستجر معها ما يلابسها من سموم قاتلة ومكاريت هائلة فوجدنا أن أجل خدمة تؤدى للإسلام هي وقوف بعض بنيه على مآرب ذلك التيار المندفع بمصفاة من العلم لتحجز ما تحمله من قذر وتترك السبيل لسلسبيله الصافي ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تحرج)(1).

لقد أولت الصحافة الإسلامية اهتماماً كبيرا لأحوال المسلمين في العالم فتحدثت عن مسلمي بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وتنزانيا وإريتريا وانتشار الإسلام في العالم، كما أولت اهتماماً للغة العربية وإحياء التراث الإسلامي وإظهار الشريعة الإسلامية وإزالة الشكوك التي يروجها المشككون والطاعنون، فكانت صحافة دعوة وفكر، صحافة دعوة تحدثت عن التربية والتكوين الخلقي والاجتماعي للمسلم وقدمت له الأبحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية رغبة في إعداده إعدادا سليما.

وصحافة فكر اعتنت بالدراسات الفلسفية والمنطقية والإسلامية وغيرها وما يأتي من الغرب.

**بذلك غطت الصحافة الإسلامية جميع القضايا الإسلامية المثارة في العصر والبيئة ووصلت إلى حد القدرة على كشف وجوه النقص والقصور في تلك القضايا، وعالجت قضايا مصيرية كقضية فلسطين والقدس والهوية والعلم والتدين والحياة والتطور والأديان والحرية والحضارة والاقتصاد وغيرها.**

لقد كان للصحافة الإسلامية الفضل في بروز أسماء لامعة في الفكر الإسلامي كمحب الدين الخطيب وأحمد عيسى عاشور ومحمد البشير الإبراهيمي ومحمد حامد الفقي ومحمد رشيد رضا وحسن البنا وصالح عشماوي وعبد الحميد بن باديس ومصطفى السباعي ومحمود أبو الفيض ومحمد محمد علوان ومحمد الخضر حسين وغيرهم كثير.

بهاته النظرة السريعة والموجزة يزول قول من يقول أن الجريدة الإسلامية لم تتناول القضايا الفكرية أو كانت غائبة أثناء احتدام الدراسات والنظريات، ولا تخلوا أي جريدة من الجرائد الإسلامية المعاصرة من تناول موضوع فكري أو علمي يكتسي صبغة عالمية أو إسلامية، والقارئ على المجرب في تصديق هذا، وله بين يدي التاريخ من جريدة "الهداية" إلى جريدة "المحجة" الأعداد الكبيرة التي تؤكد تناول الجرائد الإسلامية للمواضيع العلمية المهمة.

وبذلك أيضا يتبين أن المواضيع المناقشة في الدراسات والتي لم يعزى فيها إلى أعداد الجرائد، أصحابها لا يخرجون من أحدى أمرين :

- إما غفلوا أو تغافلوا عن العزو إليها حينما استفادوا منها، ولا يعدوا أن يكون هذا سرقة فكرية.
- إما لم يطالعوا ما جاء في الجرائد والمجلات الإسلامية والتي لا تخلوا من مناقشة ما يمت للباحث بصلة كما سبق، وأصحاب هذا الاتجاه قسمان :

1- قسم لم يتوفر له البحث والتنقيب في كل الجرائد لضيق اليد والحال فيوضح ذلك في مقدمة كتابه أو بحثه، وهذا لا سبيل للتطاول عليه إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

2- قسم توفر له ذلك ولكنه لم يرجع إليه فلا يخلوا أن يكون مقصرا في بحثه ودراسته.

**إن عدم العزو إلى الجريدة أثناء الاستفادة منها لهو نكران لذلك الفضل العظي الذي قدمته للأجيال السابقة واللاحقة، ونكران للجميل وإساءة للمعروف وتقديم اليد اليسرى لفاعل خير. فإذا كانت أمة الإسلام التي اشتهرت بالأمانة العلمية منذ القدم والتي غابت عند غيرها من الأمم، فإنه من الأولى العزو إليها كرد جميل وخير واعتراف على ما قدمته الصحافة الإسلامية للإسلام.**

---

1 - تاريخ الصحافة الإسلامية الجزء الأول لأنوار الجندي، ص: 5.

## صورة المرأة في الأحاديث الموضوعة :

# 5- المرأة شيطان

**يتخذ أعداء الإسلام ومن سار على دربهم من بني جلدتنا بعض الأحاديث الموضوعة والمنسوبة كذبا وزوراً لرسول الله ﷺ في محاولة لتشويه صورة الإسلام والنيل من صفائه وطهارته، ولكن علماء الحديث تصدوا لهذه الهجمة ووقفوا في وجه الوضاعين والكذابين حتى تبقى سنة الحبيب المصطفى محفوظة بما حفظ به الذكر الحكيم وهذه وقفة مع بعض الأحاديث المكذوبة والموضوعة.**

ذة. هجر بن الطيب

■ «النساء حبائل الشيطان»
■ «الشباب شعبة من الجنون و النساء حبالة الشيطان»

رواه أبو نعيم عن ابن مسعود والديلمي عن عبد الله بن عامر وعقبة بن عامر في حديث طويل، والتيمي في ترغيبه عن زيد بن خالد الجهني مرفوعا، ولا ينافيه ما جا ء عن سفيان الثوري من قوله يا معشر الشباب عليكم بقيام الليل فإنما الخير في الشباب لكونه محلا للقوة والنشاط(1).

إن المرأة إنسان كرمه الله سبحانه وتعالى في أصل خلقه مثلها مثل الرجل، و ليست بحال من الأحوال شيطانا لأن الشيطان خلق من نار، في حين خلق الإنسان من طين، يقول تعالى : ﴿ما منَعك ألاّ تسْجد إذ اَمرتُك قال أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طِين﴾(الأعراف : 11). و تحول الإنسان أيا كان ذكرا أو أنثى إلى شيطان أو وصفنا له بالشيطان إنما هو تعبير عن انحطاطه وتخليه عن إنسانيته وركوبه المعصية، ولا يقتصر الأمر على المرأة في هذا الوصف إن جاز، بل الرجل يشاركها أيضا متى عصى الله تعالى وأمعن في الطغيان، جاء في اللسان (الشيطان : معرف وكل عات متمرد من الجن والإنسان والدواب شيطان) قال جرير :

أيّاً ما يدْعونَني الشّيطانُ من غَزَل
وهُنّ يهوينني إذا كُنت شيْطانا

وتشيطن الرجل وشيطن إذا صار كالشيطان وفعل فعله(2).

وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى : ﴿شياطين الإنْس والجنّ يوحي بعضُهم إلى بعض زُخْرف القول غروراً﴾(الأنعام : 113)، فعن مالك بن دينار قال : «إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني، وشيطان الإنسان يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا»(3).

يقول يوسف القرضاوي : «فكان من فضل الإسلام أنه كرم المرأة وأكد إنسانيتها وأهليتها للتكليف والمسئوولية والجزاء ودخول الجنة، واعتبرها إنسانا كريما له كل ما للرجل من حقوق إنسانية لأنهما فرعان من شجرة واحدة... فهما متساويان في أصل النشأة، متساويان في الخصائص الإنسانية العامة، متساويان في التكاليف والمسئولية، مستاويان في الجزاء والمصير»(4).

---

1-العجلوني : كشف الخفاء ومزيل الألباس، 4/2.
2- ابن منظور : لسان الع رب 238/13.
3- الزمخشري : الكشاف، 56/2.
4- يوسف القرضاوي : مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ط 1 -1416هـ- 1996م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 9.

# ''الأدب : بين غموضه و رسالته''

الطالبة : الغريس فاطمة

لا نعلم إن كان من السهولة أم من الصعوبة الحديث عن رسالة للأدب كيف ما كان نوع هذا الأدب وجنسه، وما إن كانت هذه الرسالة موجودة بالفعل، في ظل هذا الفكر السطحي السائد في هذا العصر، ولكن قبل الغوص في هذا الشأن لابد أن نتعرف عن ماهية الأدب وهو سؤال ينبغي طرحه حتى نتبينه بشكل واضح إن أمكن، فما هو الأدب؟ وما تعريفه؟ وما الرسالة التي يقدمها؟ مادام أن لكل عمل رسالة يقدمها المبدع في أي ميدان من الميادين الأدبية أو العلمية على حد سواء.

وفي إجابتنا لهذا السؤال العميق الذي يحمل في طياته الكثير من التشعب والصعوبة مما يعسر علينا تحديد مفهومه بدقة وشمول كبيرين،حتى إن حاولنا الإحاطة بهذا المفهوم إلا أننا سنجد أنفسنا قاصرين عن تحديده وستبوء بالفشل حتما،ذلك أن الأدب"مفهوم واضح وغير محدد في آن واحد" وكذلك لأنه لا يتعرف من جانب واحد، ولا من وجهة نظر واحدة.الا انه من الممكن إعطاء محاولة تعريف للأدب، وهو"نظام خاص للتعبير عن الشأن الاجتماعي وتاريخ المفاهيم المتغيرة إلى الكتابة الفنية،ونتاج فني تنعكس فيه أصداء الصراع بين النظريات"،فهو إذن مفهوم متغير مما يجعل تحديد طبيعته أمرا مضنيا.

أما بخصوص رسالة الأدب وعوائقها فهي تدخل في نطاق ما يسمى بقضية الغموض في الأدب، وهي قضية نقدية قديمة إلا أنها انتشرت في العصر الحديث بكثرة وهو ما يتداول عند القراء بالغرابة والتعقيد، وهو من احد أهم أسباب إعاقة رسالة الأدب لأنه بالغموض تنعدم الرسالة ويبقى بذلك أدباً بدون رسالة تذكر.وما جدوى هذا الأدب الذي يكتبه المؤلف إلى المتلقي بطريقة غامضة، وأساليب معقدة، ولغة عربية لكن فيها من التعقيد ما يولد في القارئ الضجر والملل والنفور من قراءته له، فما نعلمه أن الكاتب أو المبدع يكتب للقارئ حتى يفيده ويمتعه، فلماذا يلجأ إلى تأليف أدب غامض لا يفهمه سواه؟ وكأنه ألفه لنفسه فقط،فهنا هذا العمل الأدبي لا يقدم أية رسالة تذكر بحكم غموض هذا النتاج الأدبي، فالغموض يؤدي إلى التشويش في تلقي الرسالة الأدبية وكذلك يفقد هذا النتاج فعاليته فيبقى رفيق الرفوف لا يطلع عليه احد لان القارئ بحاجة إلى أدب واضح يستفيد منه ويستمتع بما كتب وهي الرسالة الإجمالية التي يقدمها الأدب الواضح،لا إجهاد فكره كما هو موجود في الأدب الغامض، الذي لا يقدم أدنى رسالة.

فما تحدثت عنه مسبقا هو أن للأدب رسالة بانية في الأدب الواضح الخالي من الغموض ويمكن أن استدل على هذا القول من خلال طرحي لنموذج فذ يمكن أن يسعفني في تبيان رسالة الأدب حيث آثرت أن أقدم رواية "عائد إلى حيفا" لما لهذه الرواية من رسائل عديدة تحملها في ظل ما تعيشه الأمة العربية الإسلامية من ذل وأزمات متتابعة تجعلنا بحاجة إلى اخذ العبر منها ويعتبر صاحب الرواية غسان كنفاني أكثر كتاب الرواية الفلسطينية وعيا في سبر أغوار النفس الإنسانية في مجمل حالاتها،كما تعد روايته "عائد إلى حيفا" مليئة بالرسائل التي تقدمها إلى المتلقي العربي بصفة عامة، ومن الرسائل العميقة التي تقدمها نقل الواقع الفلسطيني المرير، وتصوير معاناته وبؤسه بكل ما يقدمه من تضحيات من اجل الوطن والدفاع عن قناعاته الثقافية والفكرية.كما تحمل رسالة أخرى تتجلى في إدانتها للعجز الذي تمثل في قطاع من الرعيل الفلسطيني والعربي الأول الغارق بمفاهيم ذاتية أنانية عاجزة، وكذا تحمل رسالة اتهام لكل من ساهم أو وقف موقف المتفرج على مأساة تشريد شعب، واغتصاب أرضه بغير حق، وبقي كنفاني مؤمنا اشد الإيمان بان كرامة الفلسطيني لا تسترد إلا بالمقاومة عن طريق النار والكلمة. فهذا الأدب الذي قدمه غسان كنفاني أدب مقاومة يحمل رسالة النضال والتضحية من اجل الوطن إلى المتلقي تنمي فيه روح المسؤولية النضالية التي تتمثل في التصدي للاحتلال وعدم الخضوع له والتمسك بالأرض والوطن والاعتزاز بالاسلام والقومية العربية، وبذلك فرسالة الأدب الذي تحدثت عنها ظهرت بشكل جلي في هذه الرواية المتميزة"عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني، التي حسست المتلقي بالواقع المرير للإنسان الفلسطيني الذي يتمثل في اغتصاب أرضه، وتشريده وترحيله، كما حاولت أن تنمي فيه روح المقاومة والنضال من اجل الحرية، هذا النضال الذي يعني نضال البندقية مع نضال الكلمة.

فالحديث عن رسالة الأدب، موضوع يطول فيه الكلام، ويحتاج إلى الكثير من البحث والاهتمام، نظرا لما يشتمله هذا الموضوع من أهمية كبرى، ولكن تبقى لهذا الموضوع الفكرة المحورية وهي أن الأدب تكمن فعاليته من خلال الرسالة التي يقدمها إلى المتلقي وتفاعل هذا المتلقي معها.

## من شعر الإمام الشافعي

■ **لمن نعطي رأينا؟**

لاُ تعطِينَّ الرأي من لا يريده
فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه

■ **الإعراض عن الجاهل :**

أعرض عن الجا هل السفيه
فكل ما قال فهو فيه
ما ضر بحر الفرات يوماً
أن خاض بعض الكلاب فيه

■ **السكوت سلامة :**

قالوا : سكت وقد خوصمت؟! قلت لهم :
إن الجواب الجواب لباب الشر مفتاح
والصمت عن جاهل أو أحمقٍ شرف
وفيه أيضاً لصون العرض إصلاح
أما ترى الأسد تُخشى وهي صامته؟
والكلب يخسى لعمري وهو نباح!

## نساء في شموخ الرواسي

ذة. نبيلة عـزوزي

# 64- أهذا الذي...؟!

لا أصـدّق أنه هو... ذلك الذي حملته بين أحشائي جنيناً.. قطعة مني... أرضعته.. سهرت معه الليالي... سميته على اسم خير البشر ﷺ...!

لا أصدّق أنه ابني... وهو ينهال علي سبا وقذفاً وضربا... كلماته خناجر تمزق قلبي... أشفق عليه من غضب الله... أبكي بكاء حارقا... أبكي عليه وعلى نفسي قبل أن أبكي منه... فيزداد تجبراً وتعنتا بعضلاته المفتولة... أأدعو عليه... أم أدعو له؟!

رحماك ربي... إنه قد بلغ الأربعين... وتضاعف عقوقه وانحرافه... سارق، سكّير... لا يقبل النصح من أحد أو حتى معارضته... متكاسل... همه الأكل بنهم والنوم إلى الظهر أو حتى العصر... محتال بارع... قضى شبابه في النصب والاحتيال علينا -أنا ووالده- فتارة يريد مبلغاً كبيراً من المال لاجتياز مباراة بعيداً... وأحيانا للبحث عن العمل... وأحياناً للالتحاق بمركز تكوين ما بمدينة بعيدة ما يقرب من العامين...

ابتزّنا بلا رحمة، إلى أن استنزف شبابه واستنزف كل حيله الكاذبة.. ولم يعد شغله الشاغل سوى تعكير حياتنا -أنا ووالده- وقد بلغنا من العمر عتيا...!

كنت ألزم آلة الخياطة ليل نهار، لأصرف عليه حتى بلغ الجامعة.. وشاء الله أن تهون صحتي، فلم أعد قادرة حتى على إدخال الخيط في الإبرة..

إخوته ما شاء الله، رضي الله عنهم وأرضاهم... أما هو، فلا يعرف معنى الرحمة بنا... ولا يعرف حقوق الوالدين.. ولا يستحيي من الشيب الذي اجتاح رأسه ولحيته.. طردناه مراراً من البيت، إلا أنه يقسم ألا يدعنا في حالنا.. ويسائلنا بوقاحة : لماذا ولدتماني... ليس لكما الحق في طردي؟!

يشار علينا أن نقاضيه، وندخله السجن... لكنني أمّ... قلبي يتفطر عليه ألما... وهل سيصلحه السجن، إن لم يفق من غروره ويصلح حاله، ويعلنها توبة... ليس من أجلنا، بل من أجل نفسه وقد بلغ الأربعين...؟!

هذه صرختي... إني لا أخاف منك يا ولدي.. بل أخاف عليك من الله.. وإذا لم تستحي فافعل ما شئت... ورغم كل ذلك : هداك الله وأصلح حالك ومتعك بالرضا...!!

وهل من دعاء صالح.. عسى أن يرده الله إليه رداً جميلا؟!

# كيف تَتَلَقَّى رِسَالاتِ القرآن؟ وتَكُونُ مِنْ أهلِ اللهِ وخَاصَّتِه!

د. فريد الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

أنت! أيها الفتى الذي تشق الحياة في هذا الزمن العصيب! أنت! يا من تقبض على دينكَ جمراً لاَهِباً في زمن الفتن والمحن! أنَت! يا من تسأل عن مسلك الوصول إلى الله في حيرة النماذج والأشكال!

كيف تُحْيِي قلبَك؟ وتجدد دينَك؟ ثم تنصر أُمَّتَكَ؟

وتحقق عَبْدِيَّتَكَ لله كاملة!

هل سألت نَفسك يوما: ماذا يريد الله منك؟

هل سألت نفسك يوما: هل تَلَقَّيْتَ عن الله رسالته إليك؟

ألاَ وإنَّ القرآن هو رسالة الله إلى العالمين، وإلى كل نفس في نفسها!

فهل فعلا تم لك التَّلَقِّي لرسالاته؟ أم أنك قرأت القرآن كما يقرأ الناس وكَفى؟ وهل كل من قرأ القرآن أو تَلاَهُ قد تَلَقَّاهُ؟

قال جَلَّ جلالُه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ!﴾(النمل:6).

تلك هي القضية!

إن النور نوران: نور مستعار ليس لك، تأخذه بفمك، فترسله إلى غيرك، لا يؤثر ولا ينفع؛ لأنه لم ينطلق من ذاتك! بل يخبو قبل الوصول إلى غيرك! وفاقد الشيء لا يعطيه!

ونور توقده بقلبك! وبِحَرِّ إيمانك، وبنار مكابدتك للقرآن! فهو كالسراج المشتعل بوجدانك! أنت أول من يحترق به! وأنت أول من يكابده ويعانيه! حتى إذا اشتعل حَقّاً أنار كل روحك وملأ كل كيانك! فإذا بك ترسل منه الشعاعات إلى الناس بلسانك، وبنظراتك، وبيدك، وبرجلك، وبكل جوارحك! نورا لا تطفئه الأضواء المخادعة أبداً! هكذا أنت بصورة تلقائية حيثما حللت وارتحلت! لا تملك إلا أن تفيض بالنور؛ لأن السراج المشتعل بأعماقك لا طاقة له على حجب أنواره الوهاجة! فهذا نور لا ينطفئ أبدا، ولا يخبو سرمدا!

## فكيف تتلقى هذا النور؟

إنه لا نور لمن لم يكابد جمر القرآن!

إن الداعية الحق هو أول من يخضع للعمليات الجراحية التي يجريها القرآن على القلوب؛ لأن وهج الوحي لا يصل إلى الناس إلا بعد أن تشتعل قلوبُ الدعاة بحرارته، وتلتهب هي ذاتها بحقائقه، وتتوهج بخطابه! فلا نور ولا اشتعال إلا باحتراق! ولك أن تتدبر معاناة محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام، ومكابدته للقرآن العظيم كيف كانت! وليس عَبَثاً أن يُرْسِلَ ﷺ هذا الشعورَ العميقَ نفَساً لاهباً بين يدي أصحابه الكرام، قائلا لهم: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا!»(1).

فأنْ تَتَلَقَّى حقائقَ القرآن يعني أن جذْوَتَهُ المشتعلة، تتنزل عليكَ بكلمات الله فَتَسْكُنُ قَلْبَكَ! ثم تحرق منك أدْرَانَ الأهواء والخطايا والآثام! ودون ذلك ما دونه من المُجَاهَدَات والآلام! حتى إذا صَفَتْ مرآتُك على شَعاع الإخلاص، أرسلت النورَ على أصْفَى وأصْدَقِ ما يكون الإرسال! كَوْكَباً دُرِّياً يجري بِفَلَكِ التأسي خَلْفَ سِرَاجِ رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً! وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً! وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ! وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً!﴾(الأحزاب: 45-48).

إن تَلَقِّي رسالات القرآن هو المنهاج الأساس لتلقي نور الله -جلَّ جلالُه- معاناةً حقيقيةً، لا استعارةً ولا تمثيلاً! بل هي مدرسة قرآنية حية!

برنامجها الدراسي كتابُ الله تعالى! وشيخها المعلم سيدنا رسول الله ﷺ! ومَعَاهِدُهَا بيوتُ الله عز وجل!

ولها خطوات عملية، نجملها في الكلمات التالية، ولنا فيها تفصيل نحيلك عليه بعدُ إن شاء الله:

- **أولا:** لابد من استجابة الروح لإحياء القلب! فالقلب الميت أو المريض لا يمكن أن يتلقى شيئا!

قال جَلَّ جلالُه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ! وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ! وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ!)(الأنفال: 24-26).

**إن النور نوران: نور مستعار ليس لك، تأخذه بفمك، فترسله إلى غيرك، لا يؤثر ولا ينفع؛ لأنه لم ينطلق من ذاتك! بل يخبو قبل الوصول إلى غيرك! وفاقد الشيء لا يعطيه! ونور توقده بقلبك! وبِحَرِّ إيمانك، وبنار مكابدتك للقرآن! فهو كالسراج المشتعل بوجدانك! أنت أول من يحترق به! وأنت أول من يكابده ويعانيه**

- **ثانيا:** القرآن الكريم هو المادة الوحيدة لإحياء الروح؛ لأنه هو روح الروح! ولا حياةَ للقلوب -أفرادا وجماعات- إلا به! وقد سمى الله القرآن بنص كتابه: "روحاً"! فالروح اسم من أسماء القرآن الكريم. فاقرأ الآيةَ التالية وتَدَبَّرْ!

قال جَلَّ جلالُه: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ!﴾(الشورى: 52-53).

- **ثالثا:** أن التلقي لرسالات القرآن لا يكون إلا بالمنهاج التربوي الذي رسمه القرآنُ نفسُه! حيث يتم التعامل معه بالصورة التي تَنَزَّلَ بها على رسول الله ﷺ تلاوةً وتزكيةً وتعلماً وتعليماً، والتي عليها تربى أصحابه بين يديه زمنَ الرسالة؛ فكانوا بذلك جيلَ القرآن الأول، مقاماً وزماناً! وبذلك حَوَّلُوا مجرى التاريخ؛ فصنع الله بهم أمة الإسلام العظمى!

**إن التلقي لرسالات القرآن لا يكون إلا بالمنهاج التربوي الذي رسمه القرآنُ نفسُه! حيث يتم التعامل معه بالصورة التي تَنَزَّلَ بها على رسول الله ﷺ تلاوةً وتزكيةً وتعلماً وتعليماً، وتعليها تربى أصحابه بين يديه زمنَ الرسالة؛ فكانوا بذلك جيلَ القرآن الأول، مقاماً وزماناً! وبذلك حَوَّلُوا مجرى التاريخ؛ فصنع الله بهم أمة الإسلام العظمى!**

ذلك مشروع دعوي شامل، نتعامل فيه مع كتاب الله، رسالةً رسالةً، وكلمةً كلمةً! وإنه بمجرد التلقي للكلمات الأولى من رسالات الله، ينبعث الروح في الوجدان! وتتجدد في القلب الحياة!

فتَدَبَّرْ ما يلي! وانظر إلى نفسك من خلاله؛ واسألها: هل تجد مثلَه؟

قال جَلَّ جلالُه: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً. قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً! وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً! وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً!﴾(الإسراء: 105- 109).

تلك صورةٌ من صور أهل التَّلَقِّي لكلمات الله! وأولئك هم أهل القرآن، الذين هم أَهْلُ الله وخَاصَّتُهُ حَقّاً! كما في الحديث الصحيح. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لله تَعَالَى أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ: أَهْلَ القُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ!»(1).

هنا بمدرسة التَّلَقِّي لكلمات الله، نتعلم -أنا وأنت- مراتبَ الإخلاص! ونَصْحَبُ التَّوَّابِينَ والمتطهرين، ونَسْلُكُ بمدارج الصِّدِّيقِينَ! سيراً إلى الله رب العالمين!

فَتَجَرَّدْ لله يا صاح، وادْخُلْ مدرسةَ القرآن!

ذلك، وإنما الموفَّق من وفقه الله!

---

1- رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

2- أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، عن أنس مرفوعا. وصححه الألباني، حديث رقم : 2165. في صحيح الجامع.

## من فضائل الخلفاء الراشدين

**أبو بكر الصديق** رضي الله عنه :

- أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ.
- أول من أقام للناس حجّهم في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته.

**عمر بن الخطاب** رضي الله عنه :

- أول من جمع الناس لقيام رمضان، وذلك في رمضان سنة 14هـ.
- أول من أخرج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام.

**عثمان بن عفان** رضي الله عنه :

- أول من ختم القرآن في ركعة.
- أول من أنشأ أسطولاً بحرياً لحماية الخلافة الإسلامية من البيزنطيين.

**علي بن أبي طالب** رضي الله عنه :

- أول من أسلم من الغلمان.
- أول فدائي في الإسلام.

# مقترح لأجل خدمة الدعوة إلى الخير

ذ. عبد المجيد التجداني
Tajdadi@maktoob.com

تعتبر قضية دعوة الناس إلى أوجه الخير أولوية الأولويات لكل شخص (ذاتيا كان أومعنويا ) يوقف نفسه في خدمة ثوابت الأمة والذوذ عن حماها. وحيث إن مجال دعوة الناس إلى المعروف وصرفهم عن المنكر مفتوح في وجه كل مُكلف بحسب استطاعته (يدا ولسانا وقلبا)، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وأن من يملك قوة المال ليس كمثل من يعدمها، فإننا نتوجه بالمقترحات التالية إلى كل القائمين على إدارة شؤون المواطنين في الميدان الديني والثقافي على اعتبار أن لهم صلاحيات واسعة وسلطات فعلية تتيح لهم فرصا أكبر للنجاح؛ ونخص بالذكر :

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية؛
- واللجان الثقافية بالمجالس الجماعية المنتخبة؛
- والمؤسسات الخاصة ورجال الأعمال.

تتمحور هذه الاقتراحات حول توظيف وسائل الإشهار المستحدثة لخدمة أمر الدعوة، بل وجعلها إحدى واجهات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

**1- استغلال اللوحات الإشهارية الضخمة المبثوثة في كثير من شوارع مدننا لأجل نشر آيات قرآنية وأحاديث نبوية على عموم المارين تذكيرا لمن يعلمها وإعلاما لمن يجهلها.** وإنه حُق هنا أن تنبري الجهات الوصية على الشأن الديني لأجل مزاحمة ومدافعة الجهات المستهينة بالشأن الديني قصدا أوجهلا. نرى الآن على الشوارع لوحات ضخمة تظهر مشاهد مختلفة تثير الانتباه وتشده، وربما أن تلك المشاهد تعلق في ذاكرة المارين حتى بعد الانصراف عنها لمدة معينة قد تطول أوتقصر بحسب المشهد والمشاهد. أما إذا استحضرنا هنا تكرار المشاهدة يوميا وعلى مدى أيام إن لم يكن شهورا، فإن تلك المشاهد قد تعلق بذاكرة المارين بشكل دائم، وتثير في أذهانهم أفكارا وفي قلوبهم أحاسيس معينة بحسب ما تعرضه تلك اللوحات. وعلى هذا الأساس، فإن الأولى بأن يعلق في أذهاننا نحن المواطنين هي آيات الله عز وجل وأحاديث رسوله الكريم ﷺ تذكيرا لنا ووعظا.

**2- استغلال الفترات الإشهارية لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة لبث فواصل إشهارية تحث الناس على أحد أوجه المعروف وتنهاهم عن أحد أوجه المنكر.** وإنه إذا كان لمنظمات المجتمع المدني بتلاوينها المختلفة دور ملموس نسبيا في استغلال تلك الفترات الإشهارية للذوذ عن معتقداتها وأفكارها، فإن الأولى بالإشهار والذوذ هوالمعتقدات الأصيلة لهذه الأمة التي أعزها الله عز وجل بالإسلام. ومجال العمل هنا واسع جدا لا يمكن حصره : فأين دعوات الحض على الصلاة مثلا؟ وأين دعوات فعل الخير من منظور ديني إسلامي عموما؟وأين هوحضور الفاعل الديني في هذا المجال؟.. أم أن الأمر يبقى حكرا على الغير...

**3- توظيف مختلف وسائل الإعلام الأخرى لخدمة الدعوة إلى الله عز وجل أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر :** وفي هذا الصدد تبدوتلك الوسائل غاية في الغنى والتنوع، بحيث يمكن توظيف المتعارف عليه حاليا، كما يمكن إبداع وسائل جديدة. ولنذكر هنا مثال " المطويات " والكتيبات الصغيرة المجانية ؛ فنفعها كبير رغم ضآلة حجمها على اعتبار خاصية الاختصار والتركيز التي تتميز بها. ويجدر بنا أن نشير هنا إلى ضآلة وجود أهل المغرب في هذا الميدان (إن لم يكن عدمه). ولئن كان لأهل المشرق سبق وتجربة رائدة في هذا الميدان -فنعترف بفضلهم في سد ثغرة عظيمة عندنا هنا في المغرب- فإننا لا نرضى أن نكون دون غيرنا : فنحن لا نعدم أهل الخير من الدعاة الصالحين المصلحين، كما لا نعدم أهل الخير من رجال الأعمال المحسنين، ولعل التحام هؤلاء مع هؤلاء في إطار من التشجيع والدعم من الجهات الرسمية كفيل بأن يجعل من المغرب منارة إعلامية أخرى تنضاف إلى منارات الإعلام الإسلامي الناجح.

إننا في عصر يقتحم فيه الآخر علينا بيوتنا ونوادينا وشوارعنا يبث معتقداته فينا وفي أبنائنا ؛ لهذا فنحن في أمس الحاجة إلى من يقتحم علينا بيوتنا ونوادينا وشوارعنا بدعوة الخير والصلاح.

هذه دعوة إلى الأخذ بزمام المبادرة من كل هؤلاء، لأن أعاصير العولمة المؤمركة التي تهب علينا توشك أن تقتلع جذور ذواتنا وهويتنا، ولأن أي تقاعس وتماطل وتسويف سينتهي بإلغاء وجودنا الذي يتمثل في خصوصيتنا الإسلامية. والله ولي التوفيق.

## مجرد رأي

# مستشارة محجبة لأوباما

ذ . عبد القادر لوكيلي

.. أجرت قناة "الحياة" الفضائية يوم الإثنين الماضي مقابلة مطولة مع السيدة داليا مجاهد وهي أول مستشارة مسلمة محجبة للرئيس الأمريكي باراك أوباما.

والسيدة داليا مجاهد أبانت خلال اللقاء على مستوى جيد وعال من الفهم الصحيح للدور الذي ينبغي أن تضطلع به الجاليات المسلمة في أمريكا وبلاد الغرب عموما.

والسيدة من أبوين مصريين هاجرا إلى أمريكا لاستكمال دراستهما في الماستر وكان عمرها آنذاك خمس سنوات. درست الهندسة الميكانيكية وتتكلم بلغة عربية سليمة وبطلاقة لا تتوفر لدى العديد من مثقفينا ومسؤولينا والذين لا يملك الواحد منهم أن يعطي استجوابا أو تصريحا واحدا بلغة سليمة بل منهم من لا يستطيع التكلم باللغة العربية أصلا. وإن تكلم تمت ترجمة كلامه بلغة بئيسة.

أما البعض الآخر ما إن تطأ قدماه بلاد الغرب حتى يستعجم لسانه ويبدأ في نطق العربية بلسان أعجمي رطين.

لقد ارتأيت أن أعلق على خبر تعيين أوباما لمستشارة محجبة لثلاثة أمور:

أولها : أن اختيار أوباما لهذه السيدة الفاضلة يحمل في طياته رسالة مفادها أن الاختيار تم على أساس الكفاءة والعلم ولم يتم على شكل الحجاب الذي ترتديه ولا على أساس الدين الذي تنتمي إليه. وهذا عين الصواب وفي ذلك رد لشيء من الاعتبار لآلاف بل ملايين المحجبات اللواتي عانين الأمرين من المضايقات والتحرشات خلال فترة حكم بوش وخاصة بعد أحداث 11 شتنبر المؤلمة.

الأمر الثاني : هو شعوري بالألم يعتصر قلبي وأنا أرى وأسمع ما تعانيه المرأة والفتاة المحجبة في العديد من أوطاننا الإسلامية (يا حسرة) من مضايقات وعنصرية ضيقة.

ففي تونس الإسلامية لازالت الفتاة والمرأة المحجبة مضايقة محتقرة ومضطهدة أينما حلت وارتحلت، ممنوعة رسميا من التعليم ومن الشغل وحتى من حقها في التمريض بل وحتى في حقها من ممارسة أعمال حرة.

وقد قرأت منذ مدة أن إحدى السيدات المحجبات مُنعت من دخول المستشفى العام للولادة وطُلب منها نزع الحجاب فأبت واضطروها للولادة على قارعة الطريق أمام بوابة المستشفى.

يقع مثل هذا في العديد من الدول الإسلامية وإن كان بشكل غير رسمي.

● ترى ألا يشعر هؤلاء وغيرهم من الذين يحاربون الله بمحاربتهم للحجاب الشرعي وتضييق منافذ الحياة الكريمة على كل مسلمة عفيفة.

● ألا يشعر هؤلاء وغيرهم من المستهزئين والمستهزئات بالحجاب وبالأخلاق الإسلامية من أصحاب جرائد ومجلات الرصيف. والذي أصبح شغل الواحد منهم الاستهزاء والتنذر بالزي الإسلامي الذي ارتضاه الله تعالى للمرأة المسلمة.

● ألا يشعر هؤلاء بالغبن والمسغبة وهم يرون كيف تكرم المحجبة في بلاد غير المسلمين؟!

في السويد أكبر الدول الغربية إباحية يسمح لمذيعة أن تظهر على إحدى القنوات لتقديم الأخبار يوميا. وفي بريطانيا يسمح للشرطيات وموظفات الدولة بالاشتغال بحجابهن. ونفس الشيء في كندا وغيرها من الدول الغربية .

وها هو الرئيس أوباما يصفع المنافقين في بلادنا الإسلامية ويعين أول امرأة محجبة كمستشارة.

أما الأمر الثالث والأخير هو كيف أن عقلاء الغرب يختارون الأصلح والأكفأ والأقدر، يستشيرون معه خدمة لبلادهم، ورفاه شعوبهم، يحيطون أنفسهم ببطانة من الكفاءات والخبرات، لا ببطانة من الانتهازيين والفاشلين الإمعة... يزينون لهم الباطل ويحجبون عنهم الحقائق فيوردونهم المهالك فيَضيعُون ويُضَيّعون الأمة معهم.

فَملك مصر على عهد سيدنا يوسف ما إن سمع بيوسف ووثق بكفاءته وحكمته طلب أن يستخلصه لنفسه. أي يكون معينا له في تحمل المسؤولية في ظرف عصيب. فكان اختياره صائبا واجتاز تلك الظروف الصعبة بسلام بفضل سيدنا يوسف وسعة نظره وكفاءته ونظافة يده وإخلاصه...

## بِنَبْضِ القلب

# عندما ينحرف النضال

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أحد أبنائه قائلا : «بلغني أنك اشتريت خاتما فَصُّهُ ذهبا بألف درهم، فإذا وصلك كتابي هذا فبِعْهُ واشْتَرِ خاتما فصه حديداً، وتصدق بالباقي على فقراء المسلمين، ثم اكتب على ظهر الخاتم رحم الله امرؤاً عرف حق قدره».

يعجب المرء من أناس حوَّلهُم الكرسي إلى كائنات عجيبة، لاهمَّ لها سوى جني الأموال، وتوسيع الممتلكات، كائنات كانت بالأمس القريب تعطينا دروسا في النضال، ونكران الذات، ولما اسْتتب لها الأمر تنكرت لهذا الشعب النبيل، وباعت ممتلكاته في المزاد العلني، بل وتصدت لرفاق الدرب الذين لم يريدوا أن ينخرطوا معها في عزف سمفونية النضال الرديء، لتمطرهم بسيل من التهم الجاهزة.. كيف يمكن للأفكار أن تنحرف عن مسارها بأكثر من مائة وثمانين درجة؟!... كيف تعلو الأصوات في المظاهرات : أمريكا عدوة الشعوب، يكفينا... يكفينا من الحروب» وما يكاد أصحاب هذه الأصوات المتشنجة يستردون أنفاسهم حتى يبللوا حلوقهم الجافة بدخان سيجارة شهباء من بلاد العم سام... رحمة الله عليك يا عمر بن عبد العزيز، يا من لم يشغله الكرسي عن أحوال الناس، يا من حَرٌّ في نفسه أن يبْتَاع ولدُه خاتما من ذهب، فكتب له مؤنبا وآمرا بالعودة إلى جادة الصواب...

أين أنت من نضال المترفين الذين استبدلوا صهيل الخيول الجريحة، بصهيل السيارات الفارهة، واستبدلوا الشقق المنزوية في الطابق الخامس والعاشر، بالفيلات والقصور في بئر قاسم وحي الرياض و"الوازيس"، ومارينا اسْمير" وهلم هدْرا وبذخا.. حقا صدق من قال : «الرّاسّ اللّي ما يْدور كَدْية».

ذ. أحمد الأشهب

05 جمادى الأولى 1430هـ - 01 ماي 2009 م- العدد: 318

# حول أدب الغموض

أ. د. عماد الدين خليل

قد يكون معظمنا متفقاً على أن الإبداع الأدبي بما أنه -أساساً- خطاب نتوجه به للآخرين، فلابدّ أن يحمل قدرته الفنية على التوصيل، والتجربة الإبداعية التي لا تصل إلى الشاطيء الآخر.. إلى "الآخرين" محكوم عليها بالعجز.. بعدم القدرة على العبور، وقد تسقط غرقاً فيبتلعها التيار فلا تحظى بفرصتها للتحقّق.

إن لغتنا العربية الشاعرة، الحسّاسة، الخصبة بمفرداتها ومجازاتها واستعاراتها التي ما لها من نفاد.. لا يمكن بحال أن تبخل بقدراتها الإبداعية وأدواتها الفنية لتوصيل التجربة. فليس إلاّ العجز والانحسار في قدرات الأديب نفسه ذلك الذي يغمض في التجربة ويمنعها من الوصول إلى الآخرين.

لقد دوّنت بعض الملاحظات المتواضعة بهذا الصدد في مقال بعنوان "حول أدب الغموض : الجسور المقطوعة" نشرته مجلة الوعي قبل أكثر من عشرين سنة، فلا مبرّر لإعادة القول فيه. ولكنني أودّ التأشير هنا على واحدة من التصوّرات أو القناعات الخاطئة للأدباء المحدثين في الساحة العربية. إنهم يعتقدون أن المذاهب الأدبية الأكثر حداثة في الغرب كالطليعية والبنيوية والمستقبلية واللا وعية، ومن قبلها الرمزية والسريالية.. إلى آخره.. تعاني في أعمالها الإبداعية من الغموض، وأن هذا الغموض شيء أساسي في تكوينها وأنه مرسوم مسبقاً في تصوّر أصحابها.. إنه - بإيجاز - قدرها.. وأننا إذا أردنا أن نجدّد نحن الآخرين فإن علينا أن نغمض ونلغز..

أبداً.. فإننا لو تمعّنا في أي من الأعمال الإبداعية للمذاهب الآنفة، فإننا سنعرف كيف أنها، على غموضها وإلغازها، تحمل القدرة على التوصيل. ليس هذا فحسب، بل إن هذا الغموض والإلغاز ليس هدفاً بحدّ ذاته، وانما هو ضرورة فنية للتعبير عن حالة نفسية أو عقلية أو وجدانية أو إنسانية أو كونية. والمهم هو أن هذا الغموض سرعان ما يتكشف في نهاية الأمر عن معنى أو إشارة ما يتلقاها القاريء فيعرف بالتأكيد ما يريد الأديب أن يقوله..

والذي يحدث عندنا -في كثير من الأحيان للأسف- ليس هذا، وإنما شيء آخر تماماً.. الغموض الذي يستهدف نفسه والذي لا يحمل أية دلالة ذات مغزى، أو هو يحملها - ربما- لكنه يعجز عن توصيلها إلى "الآخرين".

ولعلّ من فضول القول بأن التكشّف الكامل للعمل الإبداعي يقوده إلى التضحّل، ويفقده خصائصه الفنية، ويؤول به إلى التقريرية والمباشرة والبرود.. وأنه -إذن- لابدّ من التغطية.. من المجاز -من الانزياح عن الدلالات المباشرة للكلمات.. من إحاطة التجربة التعبيرية بأكبر قدر ممكن من المضافات الفنية التي تبعد بها عن الكلام الاعتيادي.. وهذا بالتأكيد قد يقودها إلى نوع من الإلغاز والغموض وهما في الحقيقة مما يميّز الإبداع عن الكلمات المطروحة على قارعة الطريق كما يسمّيها " الجاحظ "..

لكن المبالغة في الإغماض، وفق قصد مسبق، أو بنتيجة العجز، سوف يقود التعبير إلى التشرنق، والعزلة، ويصدّه عن الوصول إلى الآخرين، فيفقد وظيفته الفنية الأساسية.

إن كثيراً من قصائد الشعر الحرّ -على سبيل المثال- تتحول على أيدي أنصاف الشعراء، من المولعين بالتقليد والملاحقة، إلى نوع من لعبة الكلمات المتقاطعة.. من الشفرات السرّية، التي لا يقدر على فكّها وحلّ رموزها سوى واضعها نفسه.. وهذا بالتأكيد ليس ميزة للأديب بقدر ما هو إدانة لأدواته الفنية وقدراته التعبيرية.

## بارقة

# متى يعود المسلمون إلى الإسلام ؟

د. عبد السلام الهراس

عنوان مقال كتبتُه منذ أزيد من عشرين سنة ونشرتْه مجلة الوعي الإسلامي التي تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت وأعجب به الكاتب الكبير الأستاذ محمد عزّتْ دَرْوزَة رحمه الله فنشر مقالته بنفس العنوان في نفس المجلة وعالج الموضوع مؤيدا ومدليا بآراء جديدة وبأسلوبه الرصين الشائق، وأعود اليوم لأستعمل نفس العنوان مرة ثالثة متناولا ما يجب قوله في استفحال دوائر المحرمات التي اعتاد المجتمع عليها إذ صار بعضُها أمرا عاديا يعيش في بعض متاجرنا الكبرى والمتوسطة والصغرى مثل الخمور التي تباع علنا للمسلمين، ولو ترى الازدحام على الجناح الخاص ببيع أم الخبائث لظننتَ أنها تتزاحم على ماء زمزم أو الحجر الأسود. وما ينتج عن الخمر من أضرار مادية وبشرية واجتماعية وأسرية وصحية ليسجل أرقاما مَهُولَةً وخسائرَ مفزعةً وعواقبَ جد وخيمة، أما القمار فهناك تنافس محموم بين الشركات المحرمة شرعا وفي جميع المذاهب الفقهية التي نعتز بها ونفتخر باتباعها نظريا.

لقد وصل رقم المشاركين في التنافس على القمار نحوا من ثلاثة ملايين فقط بالنسبة لشركة واحدة واسمها لطيف: "الشركة المغربية للألعاب والرياضات" ومجالها الحقيقي "يا لطيف" ففي سنة 2012 سترتفع مُعامَلات هذه الشركة الخاصة بالألعاب والرياضات إلى مليار درهم 100.000.000 سنتيم فإذا أضيف إليها قمار التيرسي وما يُضخُّ على الطاولات في كازينو طنجة وغير ذلك لظننتَ أن المغاربة لا شغل لهم إلا الأطماع الشرهة للربح عن طريق القمار.

أما الأموال التي تستهلك في شراء المخدرات المصنوعة محليا والمستوردة فلا تقع تحت الحصر.. وما ينتج عنها من عاهات عقلية وغيرها فاسأل المستشفيات للأمراض النفسية والعقلية وأطباء هذه الأمراض، وَزُرْ الأسر التي تعاني العواقب الوخيمة لهذه المحرمات ليَتَفَطَّر قلبُك وتتمزق رئتُك.

أما الأرقام المرعبة لما يصرف على سموم الدخان وآثاره المَرَضِية فأمر يتحدى الأرقام الطويلة والإحصاءات المفزعة..

أما الاستدانة بالربا ولاسيما في أوساط الدخل المحدود فيدعو للفزع والعويل.. وأما محاربة المعاملات الإسلامية في البنوك والتجارة والاقتصاد فسيقودنا لخسائر فادحة ولاسيما وأوربا بدأت تطبق شرع الله في بعض بنوكها لامتصاص أموال المسلمين الهائلة ولا سيما المقيمون في بلادها!!

وهناك محرمات أخرى خطيرة كتدخين الشيشا وارتباط بعضه بالفجور والسياحة الجنسية والبغاء السري والعلني والعصابات المتخصصة في سرقة الهواتف النقالة للنساء والبنات والتلميذات..

أما الحالة الأخلاقية والعلمية في مدارسنا فقد بلغت من الانحطاط والتخلف مستويات مخيفة ومخجلة، وفي ندوة الفضائية المغربية (1) يوم 2009/04/22 ليلا ما يكفي، كما أن رتبتنا العلمية في إفريقيا تشهد تراجعا مطردا ويكفي أن تكون رتبتنا الجامعية بالنسبة للبلاد العربية تكاد تكون الأخيرة.

فلو عدنا إلى ديننا الحنيف وصراط الله المستقيم في التشريع والتربية والتعليم والإعلام والاقتصاد والتجارة والصناعة وغير ذلك من مجالات حياتنا لأفلحنا والله، ولضَمِنَّا لأنفسنا حياة سعيدة عزيزة سليمة ولوضعنا أنفسنا على بدَاية جادة وهادفة لنهضة شاملة.

أمَا آنَ للمسلمين وقد أصروا على إبعاد الإسلام من حياتهم أن يستحيوا من الله ومن عباد الله عندما يعلنون تمسكهم بالإسلام وبالعقائد السلفية ومنها طبعا الأشعرية وبالمذاهب الحنبلية والشافعية والمالكية والحنفية، وبالتصوف السني: المشيشي والشاذلي والجُنَيْدي، والحالة كما نشاهد.

فأين نحن من ذلك أيها القوم.. ماذا يكون جواب كل واحد منا عندما يُهالُ عليه التراب: من ربُّك؟ ما دينُك؟ من نبيُّك؟

﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.